ISSN:2707-8183 (Print)

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

مجلة محكمة

تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية

العدد السادس 2020

ملف بعنوان

علاقة التاريخ بالعلوم الاجتماعية

محتويات العدد السادس

ت	الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	السياسات والقواعد والاجراءات	السياسات والقواعد والاجراءات	1-6
2	الاستاذ المحاضر د. حباش فاطمة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة ابن خلدون _ تيارت	أهمية العلاقة بين التاريخ وعلم الأنثروبولوجيا في التأريخ للمجتمعات الإنسانية " كتابات العسكريين الفرنسيين حول المجتمع الصحراوي الجزائري إبان الاحتلال"	8-19
3	الاستاذ المحاضر الدكتور سلاماني عبد القادر جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر. الاستاذ المحاضر الدكتور قراوي نادية / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.	أهمية علم الاجتماع في البحث التاريخي" دراسة التركيبة الاجتماعية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1847م نموذجا".	20-34
4	أ.د عيسى محمود عسود العزام جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية/كلية العلوم والآداب	المجتمع الإسلامي في مصر والمشرق العربي خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي/ (رؤية من خلال رحلة ناصر خسرو القبادياني)	36-51
5	أ.د. حازم مجيد الدوري / جامعة سامراء د. دلال جابري/ جامعة سوق اهراس	نحو مقاربة تاريخية في سوسيولوجيا المجتمع الجزائري	52-71
6	الباحثة ابتسام بهيج جامعة الحسن الثاني /كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك / مختبر المغرب والعالم الخارجي	التاريخ والأنثروبولوجيا	72-83
7	الدكتور عزالدين زرياط الباحثة حفيظة العروصي المرضي الباحثة دليلة جبالة سعودي جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس	الأنثروبولوجيا التاريخية	84-95

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير

الدكتور عثمان برهومي / تونس

مديرة التحرير

الدكتورة وفاء سمير نعيم مصر

هيئة التحرير

الاستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي

الاستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي

الهيئة العلمية

- أ.د صباح رميض / العراق
- أ.د علاء الرهيمي/ العراق
- د. لحسن أوري / المغرب
- أ.د ميلاد مفتاح الحراثي ليبيا
- أ.د حاجي دوران/ تركيا
- أ.م.د نورالدين ثنيو / الجزائر

* د.عبد المومن بن صغير/ الجزائر

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب مجلة المدرسة التاريخية العراقية بنشر البحوث الجيدة والجديدة المبتكرة في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخية كعلم يتناول النشاط الانساني كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه عربيه سليمه واسلوب واضح. وتعطي الاولوية للدراسات الفكرية التاريخية، التي تساعد على وضع اسس لأطار نظري لمدرسة تاريخية جد

سياسات النشر

تسعى مجلة المدرسة التاريخية العراقية الى استيعاب روافد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود الى هيئه تحرير المجلة، والاولوية الاخرى للدراسات التاريخية الفكرية، ووفقا لاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئه التحرير.

تقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يكتفي بالإجازة من قبل اثنين من اعضاء هيئه التحرير للنشر مراجعات الكتب والاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق

النص في عمودين مع مراعاة توافق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين حيث تحكيم البحوث تحكيما سريا المراد تحكيمه استمارة تقويم تضم قائمه بالمعايير التي على ضوئها يتم تقويم العمل العلمي.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها بالإضافة الى سلامه المنهاج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد الازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

تقوم المجلة بالتدقيق اللغوي للأبحاث المقبولة للنشر وتقوم هيئه التحرير بعد ذلك بمهمه تنسيق البحث ليخرج في الشكل النهائي المتعارف عليه للإصدارات الدولية.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقا مع عنوانه

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل

ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع .

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صور شخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع البحث تستخدم بغرض انشاء صفحه للكاتب في موقع الدورية على شبكه الانترنيت.

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة عربية سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.

الصور التوضيحية

في حاله وجود صور تدعم البحث يجب ارسال الصور على البريد الكتروني في ملف منفصل على هيئه (JPEG)حيث ان وضع الصور في ملف الكتابة word يقلل من درجه وضوحها (resolution).

خاتمة او خلاصة

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث

الهوامش

يجب ادراج الهوامش في شكل ارقام متسلسله في نهاية البحث، وايضا اعتماد معايير دولية منهجية في الهوامش. ونذكر النماذج المقترحة للهوامش وفق الية دليل شيكاغو.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور وابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن 10 صفحه.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادواته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد الصفحات العرض عن 12 صفحة.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد في دول الوطن العربي والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه برنامج مايكروسوفت وورد , microsof tword ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم الذاتية العلمية أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث اجيز للنشر نسخه من ذلك العدد المنشور به البحث ومستله من البحث على البريد الكتروني.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها وبعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر مجلة المدرسة التاريخية العراقية اربع مرات في السنة مارس يونيو سبتمبر ديسمبر.
- المجلة المتاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

رسوم النشر : 100 دولار

أهمية العلاقة بين التاريخ وعلم الأنثروبولوجيا في التأريخ للمجتمعات الإنسانية
" كتابات العسكريين الفرنسيين حول المجتمع الصحراوي الجزائري إبان الاحتلال"

الاستاذ المحاضر الدكتورة حباش فاطمة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة ابن خلدون _ تيارت_

الملخص:

على اعتبار أن الأنثروبولوجيا علم يدرس الإنسان على كل المستويات بدء بالجانب الثقافي والاجتماعي، نهيك عن تصرفاته وسلوكاته وحتى أفكاره ومعتقداته، بحيث يتتبع تطوره الحضاري فالأكيد أنه يعتمد ويستند على التاريخ في استنتاج تلك السلوكيات على مستوى الحاضر باستحضار لحياته في الماضي، إذن يمكن القول أن المجتمعات الإنسانية في حاضرها تستوجب توظيف علم التاريخ وما يوفره المؤرخون في كتاباتهم من معلومات وتحليلات.

ونحن هنا في هذا الطرح نحاول دراسة العلاقة بين العلمين من خلال وضع إسقاط على المجتمع الجزائري وتحديدا الصحراوي منه إبان الفترة الاستعمارية، واستخلاص الطبائع الاجتماعية والثقافية والعقائدية وحتى المادية، وفك رموزه وموروثة من خلال كتابات المستكشفين والعسكريين الذين كلفوا بحملات استكشافية إلى الصحراء خدمة للمشروع الاستعماري، وتثبيت الاحتلال وإحكام سيطرته على القبائل من خلال معرفة نقاط قوته وضعفه، من هنا نقول هؤلاء انطلقوا في مهمة ذات طابع سياسي ولكن في نفس الوقت لها طابع استكشافي استقرائي للمجتمع الصحراوي ومحاولة فك رموزه في كل المجالات بدء من البيئة الجغرافية، والطبيعية، والبيئة الاجتماعية من العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية بين العشائر والقبائل، ومعرفة خصوصية هذا المجتمع باختلاف سكانه من بدو أو قصوريين من سكان الواحات خدمة وتثبيتا للوجود الاستعماري، وهذه الكتابات تشكل في الوقت الراهن أرضية للدراسات الأنثروبولوجية حول المجتمع الصحراوي الحالي بالجزائر وذلك بالارتكاز على رصيدا من المعلومات المسجلة في الماضي، وبالتالي عقد مقارنة لاستنتاج التغيرات التي طرأت عليه.

وللإشارة النموذج الذي سنعتمده في الدراسة كما أشارت له سابقا هو كتاب أحد العسكريين الذي اشتهر بتأليفه حول الصحراء والحياة الاجتماعية والدينية في الجزائر يدعى الجنرال ترومليTrumlet وكتابه " Les Français dans le désert" والصادر سنة 1885 عن دار النشر CHallamel Ainé.

campaigns to the desert to serve the colonial plan which aimed at covering and expanding the occupation. Accordingly, through this political mission that had other objectives, they could understand the social environment of the desert people, getting information about their traditions, and social relations between clans and tribes. They could also know their privacy in terms of the population, including Bedouins, palaces inhabitants or oases inhabitants. In fact, these writings present at the present time a basis for anthropological studies about the current desert society in Algeria, based on the information recorded in the past and that allowed to conclude its changes through time.

To conduct this research, the researcher refers to the French General Trumlet 's book entitled " *French in the Desert*", published in 1885 by Challamel Ainé House. The author was so known in writing about the social and religious life in Algeria.

Abstract

The Importance of the Relationship between History and Anthropology in the Human Societies History

The French Military's Production about the Algerian Desert community during the Occupation Period

Since Anthropology is a science that interests in humanity study at all different aspects: cultural, social,...focusing on the humans' behaviors, thoughts and beliefs, attempting to understand their civilization evolution, it certainly depends on History to infer these behaviors in the present by invoking their past. Therefore, the study of societies requires employing the science of history and exploiting the information and analysis provided by historians in their writings.

In this regard, the present paper attempts to study the relationship between Anthropology and History through an examination of the Algerian desert (Saharan) society, during the colonial period. Moreover, the study seeks to understand the social, cultural, ideological and even physical natures of people through the writings of explorers and soldieries who did some exploratory

تمهيد

شكلت كتب الرحلة بمختلف أنواعها سواء كانت علمية، أو جغرافية استكشافية، أو سياسية ذات طابع عسكري أو إداري رسمي إحدى مصادر الكتابة التاريخية، بحيث يمكن من خلالها التأريخ لمجتمعات بشرية في فترات زمنية مختلفة، مما يسمح بالوصول إلى دراسة منوغرافية شاملة لتاريخ المجتمعات سياسيا، واجتماعيا، وإقتصاديا، وحتى جغرافيا في سياق تاريخي.

ونحن في هذه الدراسة بصدد دراسة أحد النماذج من الدراسات، وهي تندرج ضمن الرحلات الإدارية الرسمية التي تم تدوينها عسكري من الإدارة الأهلية النقيب ترومليTrumlet الذي أرخ لمسار رحلة القائد الأعلى لقسمة معسكر دريو Durrieu، الذي انطلق من معسكر في 1853/12/31 باتجاه ورقلة بالجنوب الغربي في مهمة إدارية تقضي بتنظيم منطقة ورقلة وجعلها أغوية إدارية تابعة للسلطة الفرنسية . إذن سنحاول قراءتها قراءة علمية وفق منهج سنوضح من خلاله القيمة العلمية لهذه الرحلة من جهة في مجال التأريخ لمجتمعات المنطقة الصحراوية بالجزائر خلال فترات مختلفة، ومن جهة أخرى كيفية الاستفادة منها في بناء دراسة أنثروبولوجية للمجتمع الصحراوي في زمن الحاضر، وبالتالي الاجابة على الإشكالية الأتية: " ماهي أهم الملامح التي يمكن استخلاصها عن المجتمع الصحراوي من التدوين العام لمسار رحلة القائد دريو؟، وإلى أي مدى كان مضمونها عاملا مساعدا للمد الاستعماري الفرنسي بالصحراء، وفي نفس الوقت رصيدا معرفيا في تاريخ المجتمعات الإنسانية الصحراوية يستعين به علم الأنثروولوجيا؟ "

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا خطة علمية شملت العناصر الآتية:

_ الأنثربولوجيا والإيديولوجية الاستعمارية

_ لمحة عن المؤلف ومحتوى الكتاب

_ القيمة العلمية ولمحات عن المجتمع الصحراوي من خلال الرحلة

_ استقراء أهم نتائج الدراسة

1_ الأنثربولوجيا والإيديولوجية الاستعمارية:

لعل من نتائج التطور الذي العالم الغربي وتحديدا الأوربي على خلفية النهضة مع القرن 16، ثم الثورة الصناعية في القرن 18، قد أحدث نوعا من التحول الفكري بأوربا، فحصل تغير سياسي واقتصادي، وحتى اجتماعي، وتعداه إلى الفكر السياسي الذي تبلور على إثرهما ظهور الإيديولوجية الاستعمارية ونموها بين أحضان الساسة وزعماء الدول الأوربية، فأصبحوا يتطلعون إلى السيطرة على شعوب خارج مجال أوربا، والبحث عن مستعمرات جديدة بين مجتمعات بدائية حسب اعتقادهم، بحاجة لبعث وتطور على أيديهم.

إذن مع تجسد وترسخ فكرة الاستعمار في أذهان الأوربيين ظهر نوع من التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية، وزادت مع ذلك الرغبة في دراسة ومعرفة المجتمعات وفك رموزها وأسرارها فيما يخص العادات والتقاليد، الأعراف،

العلاقات الاجتماعية، ومظاهر تطورها، وعليه فقد استدعى الأمر إلى إشراك الجميع لتحقيق الهدف، ومنهم الرحالة الجغرافيين والمستكشفين تميزوا بأدوار مهمة من خلال البعثات الأولى التي انطلقت من أوربا على نفقة الحكومات والملوك، تحملوا عناء استكشاف المجتمعات البدائية عن طريق الاحتكاك بتلك الشعوب والتعرف عليهم، وعليه جمع معلومات حول عاداتهم ومعتقداتهم وحضارتهم لأجل المهمة الاستعمارية.[1]

من هنا وخلال هذه الفترة نجد معرفة المجتمعات والبحث فيما يخص الإنسان التي كانت موجودة منذ القدم[2] ولغاية سياسية اقترنت بالنزعة الاستعمارية، ترسمت كعلم قائم بذاته عرف ب " الأنثربولوجيا" منذ منتصف القرن 19، يبحث فيما يتعلق بالإنسان، وسلوكياته، وإنتاجه الفكري، والحضاري، والعقائدي، يتتبع التغيرات والتطورات الحاصلة بين الماضي والحاضر، خدمة للحركة الاستعمارية، وتزويدها بمعلومات عن المجتمعات الإنسانية لأجل السيطرة عليها وبسط نفوذهم على رقعتها الجغرافية[3]، وهذا في حد ذاته سمح بحضور علماء الأنثربولوجيا بأدوارهم كأحد أساليب السياسة الاستعمارية وردت في شكل أنماط مختلفة كدراسات لإداريين أو عسكريين، ولاحقا الأكاديميين تولوا مهمة البحث في الجماعات البشرية[4].

وفرنسا كأكبر دولة استعمارية لم تخرج عن هذا الإطار، حيث استعانت بالأنثروبولوجيا في معرفة خبايا مستعمراتها ومنها الجزائر التي خضعت لحقل الدراسات الأنثروبولوجية والإثنولوجية على فترات بهدف المد الاستعماري، وتثبيت الاحتلال، وفرض السيطرة شمالا، وجنوب، وشرقا، وغربا. تضمنت بحثا حول المجتمع الجزائري ومعرفته معرفة عميقة ومفصلة، خاصة أنه مجتمع عشائري متميز بفئاته السكانية المتباينة سواء بين الريف والمدينة، وبين مختلف الأقاليم الجغرافية التلية، والهضابية، والصحراوية، فالحاجة إذن استدعت الاستعانة بمختلف التقارير سواء دبلوماسيين، أو تجار، أو إداريين وخاصة العسكريين بحكم احتكاكهم المباشر والدائم بمختلف المناطق، وبالتالي جمع أكبر المعلومات حول المجتمع،

---

[1] بوحسون العربي، " **بين التاريخ والأنثروبولوجيا _ دراسة في الأنثروبولوجيا الإستعمارية_**"، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية،(مجلد 2،ع1، السنة 2011/6/1)، ص 163.

[2] _ لقد وجدت الدراسة حول الإنسان ومختاف ما يتعلق به من مجالات من القدم مع القرن 5ق م مع العالم هيرودت، فهو أول من كتب عن المجتمعات غير اليونانية، مركزا على عاداتها وتقاليدها، وبالتالي يكون قد أسس للتاريخ والجغرافية منذ العصور القديمة. طالع: _ مرقومة منصور، "**الأنثروبولوجية والنزعة الاستعمارية الحديثة**"، مجلة التدوين، (المجلد 4، ع8، السنة 2016/12/2)، ص 80.

[3] _ مرقومة منصور، المرجع السابق، ص. 81.

[4] _ Lucas Phlippe, Vatin Jean-Claud, L'Algérie des anthropologuees, Masperro François, (Paris, 1975), P.104.

والبيئة، والحياة الاقتصادية، وحتى التنظيم العسكري والديني[1].

واليوم نحن في هذا المقام نحاول تقديم إحدى النماذج من الدراسات الأنثروبولوجية حول المجتمع الجزائري تم تدوينها على يد عسكري متمرس في الشؤون الأهلية ، تعنى بفترة الخمسينات من القرن 19. وتعد إحدى اقتراحات منظري الاستعمار[2]، الذين لم يتوانوا في تقديم مقترحات ضمن السياسة الاستعمارية إلى جانب أساليب أخرى اقترحت كتدجين الزعامات الأهلية ومحاولة التواصل معها، وعليه نحاول دراسة تلك العلاقة الطردية بين التاريخ والأنثروبولوجيا فيما يخص المسألة الاستعمارية.

2_ لمحة عن المؤلف ومحتوى الكتاب:

هو Corneille Trumelet من مواليد 11مارس 1820، انخرط في العمل العسكري في 17 جوان 1839، تكون عسكريا وتدرج في الرتب فبلغ رتبة قائد كتيبة ، ثم أصبح ملازما في أفريل 1848، قدم إلى الجزائر سنة 1851 برتبة ملازم أول، ثم ترقى إلى رتبة نقيب في 1856/3/22 ثم عقيد في 1870/10/4، وفي 1874/1/29 أصبح برتبة كولونيل.

إلى جانب مهامه العسكرية ضمن الجيش الفرنسي أنتدب لممارسة الإدارة الأهلية ضمن نظام المكاتب العربية، فقد تولى القبادة العليا لدائرة ثنية الحد من ديسمبر 1868إلى غاية فيفري 1871، بعدها عين قائد أعلى على قسمة سور الغزلان، قاد عدة حملات عسكرية بثنية الحد ما بين 1869 و1870، وفي 1871 قاد فرق عسكرية بين ذراع الميزان وبوسعادة لملاحقة المقراني.

تميز ترومليه عن باقي العسكريين بموهبة الكتابة والتأليف، ووظفها في التأريخ للتواجد الفرنسي بالجزائر، حيث أصدر العديد من الكتابات[3] منها:

_ Les Français dans le desert

_ L'insurrection de 1864

_ Les deux volumes sur Blida (1887)

_ Les sergent Blandan et le combat d'el-Mechdoufa prés Beni –Mérad (1888)

_ Général Yusuf (1890)

---

[1] _ وراغي أحمد، " **الأنثروبولوجيا والاستعمار_ قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الأنثروبولوجيا الاستعمارية_**"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، (مجلد 4، ع2، السنة 2014/1/15)، ص ص. 268_269.

[2] _ من بين المنظرين للإحتلال الفرنسي بالجزائر نجد ألكسيس دو توكفيل، الذي أكد على ضرورة معرفة المتمع الجزئري بمعرفة لغته ودراسة عاداته وأعرافه وتقاليده، وبالتالي معرفة كل الخلفيات وممارسات العربي ونقاط قوته وضعفه، لتسهل بذلك عملية الهيمنة والسيطرة ثم ننتقل إلى الفرنسة والإدماج.طالع: بوحسون العربي، " **الإستشراق والأنثروبولوجيا والاستعمار _ دراسة تحليلية لطبيعة العلاقة**"، مجلة الإنسان والمجتمع، (ج 2، ع22، ديسمبر 2011)، ص 49

[3] _ Peyronnet . R,Livre d'or des officiers des affaires indigénes (1830-1930), (Alger : imprimerie Algérienne, 1930), PP, 327-329.

يعد كتاب Les Français dans le désert من الكتابات الأجنبية المصنفة ضمن المصادر، تعنى بتاريخ الجزائر كإطار جغرافي وبشري إبان الاحتلال الفرنسي، خاصة في جزئها الجنوبي" الصحراء". يؤرخ للجزائر في فترات مختلفة من منطلق هدف سياسي استعماري، وهو عبارة عن سرد ليوميات رحلة في إطار المهمات الإدارية أوجبتها الحكومة الاستعمارية في مجال توسيع وتثبيت الاحتلال بصفة شاملة، لذلك كانت لأجل ترسيم السلطة الفرنسية بمنطقة ورقلة وبأعماق الصحراء الجزائرية بعد تصفية نشاط الثائر الشريف محمد بن عبد الله.

صدر الكتاب عن دار النشر CHallamel Ainé éditeur سنة 1887، ونحن الآن بصدد عرض النسخة الرابعة، كما له طبعة ثانية صدرت سنة 1885، بلع مجموع صفحاته حوالي 516 صفحة، متبوعة بمجموعة من الخرائط تخص مسار الرحلة من معسكر نحو ورقلة، نهيك عن بعض المخططات البيانية لواحات من الصحراء منها: متليلي، نقوسة، الأغواط، ورقلة، وكنفيدرالية الميزاب.

مع تصفح الكتاب نجده مقسم ومرتب وفق خطة شملت إحدى عشرة فصلا بدون عناوين رئيسية، تتقدمها تصدير وتقديم في شكل مقدمتين الأولى عبارة عن تصدير للطبعة الجديدة والأخيرة بتاريخ أفريل 1884، أما الثانية فهي تصدير لأول طبعة والمؤرخة ب 1862/5/1 [1].

وللإشارة وردت الفصول بعناوين فرعية تذكر في مقدمة الفصل مع معالجة مضامنيها داخل الفصل الواحد وفق نظام الفقرات تعالج بتسلسل مضامين العنوية الجزئية، وبالطبع التسلسل خاضع لمسار الرحلة، ومن أهم ما ورد من أفكار في الفصول نجد:

_ أصل واتريخ نشأة ورقلة، الأغواط ، معسكر

_ النفوذ السياسي والديني للقبائل الجزائرية التي مروا على أراضيها منها: الحشم بمعسكر، الحساسنة بمنطقة سعيدة، أولاد سيد الشيخ بمنطقة قصور الجنوب الغربي، قبائل منطقة العمور، عائلة بن باييه بواحة نقوسة....إلخ

_ ظهور الثائر محمد بن عبد الله بورقاو، وإعلانه الثورة بعد تسميتة وتزكيته بسلطان ورقلة من طرف سكانها وبدعم من الزعامات الدينية كمحمد بن علي السنوسي.

_ إسهامات الزعامات الأهلية من شيوخ القبائل إلى جانب الفرنسيين في عملية التوسع الاستعماري بالصحراء مثلما هو الحال مع زعماء أولاد سيدي الشيخ، زعماء قبيلة سعيد عتبة بورقلة.....إلخ.

---

[1] _ Trumelet. C, Les Français dans le désert, (Paris : challamel- Ainé éditeur, 4éme édition, 1887), PP. 1-516 .

_ الوصف الجغرافي والطبيعي من حيث المناخ وطبيعة الأراضي، والغطاء النباتي، والمياه للمناطق انطلاقا من التل شمالا ثم الهضاب العليا وصولا إلى الصحراء وفق خط يبدأ من معسكر، سعيدة، منطقة العمور، الميزاب، الأغواط، ورقلة[1].

3_ القيمة العلمية ولمحات عن المجتمع الصحراوي من خلال الرحلة:

من أهم ما يمكن استخلاصه من قراءة دقيقة واستقرائية للرحلة نذكر:

_ مظاهر تشكل السلطة، واكتساب الشرعية من خلال تناول إحدى قنوات النفوذ من خلال نموذجين: نموذج ورقلة بعد نشأتها، ومحاولة كسب زعيم يوحدهم ذو نفوذ ديني من خلال التواصل مع سلطان المغرب لشراء أمير، أما النموذج الثاني فهو نفوذ مادي من خلال واحة نقوسة مع سلطة أسرة ابن بابية والتي هي في الواقع أصل نفوذها مادي بممارستها التجارة، وكان لها طموح سياسي سعت إلى تحقيقه من خلال فرض نفوذها على دانيها وإجبارهم على الاعتراف بها[2].

_ إثارة عنصر التأثير الديني في اكتساب الشرعية من نموذج الجهاد المقدس كما هو الشأن مع الشريف محمد بن عبدالله، الذي استطاع بلوغ سلطة ورقلة وتلقب بالسلطان عليها، بعد اعتراف تام من زعاماتها خاصة الدينية، وهذا بعد توصية دينية حصل عليها من الشيخ محمد بن علي السنوسي شيخ الطريقة السنوسية ، والذي كانت له سمعة طيبة ويحظى باحترام سكان الصحراء.[3]

_ مظاهر الصراع حول السلطة والنفوذ بكل أشكاله بين أفراد العائلات، أو بين القبائل، أو حتى بين الواحات، وردت في نماذج متفرقة بين فصول الكتاب منها: صراع أحياء واحة ورقلة وعدم إرسائهم على تعيين زعيم منهم، الأمر الذي تطلب منهم إلى البحث على زعيم أجنبي عنهم يتمتع بالنفوذ الديني وتجسدت الحالة أولا مع سلطان المغرب الأقصى ومحاولة شراء أمير يتمتع بالنسب الشريف، وثانيا مع الشريف محمد بن عبد الله ، ثاني نموذج يتمثل في الصراع والتنافس بين واحتي ورقلة ونقوسة من أجل فرض سلطتهما على منطقة ورقلة كليا، وبالتالي توالي الحملات والهجمات بقيادة ابن بابية على ورقلة، أما فيما يخص صراع الأفراد نذكر نموذج قبيلة أولاد سيدي الشيخ من خلال محاولة النعيمي بوبكر الصغير تصفية أخيه سي حمزة أثناء تفاوضه مع الفرنسيين بخصوص التعاون مع بعضهم البعض.

_ مسألة التباين واختلاف المواقف عند العائلات ذات النفوذ بالصحراء حول التوسع والمد الفرنسي بالصحراء والجنوب الغربي خاصة، والذي ظهر جليا من خلال رد الفعل القوي والعنيف الذي صعب من مهمة التوسع بالجنوب الغربي بعد تراجع الأمير عبد القادر، كما أن عدم قبولهم بالسلطة الاستعمارية دفعها إلى المراوغة

[1] _ Ibid, PP. 1-516.

[2] _ Ibid, PP. 1- 43(des chapitres)

[3] _ Ibid , PP. 1-43.

بالتفاوض وعرض عليهم التعاون مقابل الاحترام المتبادل، وحدث هذا مع قبيلة أولاد سيد الشيخ، وفي مقابل هذا النموذج نلمس بعض من الزعامات سعت إلى عرض خدماتها على الفرنسيين كما هو الشأن بواحة نقوسة مع عائلة ابن باييه التي سعى زعمائها إلى التواصل مع الفرنسيين وعرض خدماتهم سنة 1849، الأمر الذي فسره الفرنسيون على أنه مجرد طموح سياسي ورغبة في السلطة على حساب واحة ورقلة.[1]

_ ورد ضمنيا معانة المجتمع الصحراوي وخاصة زعماء وشيوخ القبائل من سياسة الإقصاء السياسي من قبل السلطة الاستعمارية، وتم التطرق إليها بشكل ضمني وفي حالات منفصلة في سياق الفصول نستنتج منه محاولات التخلص من الزعامات الأهلية بطرق مختلفة مع عرض مظاهر هذه السياسة وإدراجها حسب الرؤية الاستعمارية ضمن مسألة عدم الثقة والخيانة، تكررت في عدة محطات في مواقف لزعامات أهلية، وهذا بالرغم من التعاون والخدمات التي قدمت للفرنسيين[2]، ومن بين هذه الحالات ما وقع لزعيم قبيلة أولاد سيدي الشيخ " حمزة بن بوبكر" الذي بالرغم من الإشادة بأدواره إلى جانب الفرنسيين وأفضاله في وصولهم إلى ورقلة وجعلها منطقة فرنسية إلا أنه بقي محل شك دائماوتحت المراقبة، وتعرض لأكثر من مرة لعقوبات منها الإقامة الجبرية سنة 1850 بعد اتهامه بالاتصال سرا مع الثائر محمد بن عبد الله[3].

_ استحضار تاريخي لنشأة المدن، وأصول القبائل والعشائر، والزعامات بكل المناطق التي مرت بها الحملة الإدارية بقيادة القائد الأعلى دريو (معسكر، اليعقوبية، قبيلة حساسنة كنفيدرالية الميزاب)، مع التركيز على وضعها وعلاقتها مع السلطة الرسمية على العهد العثماني، ثم موقفها من الأمير عبد القادر، وهذا باعتبار أن المرحلتان كانت مرجعية بالنسبة للسلطة الفرنسية الاستعمارية في تثبيت سيطرتها على القبائل، وكذا إيجاد نواة الإدارة الأهلية التي ستعتمدها في تسيير شؤون الجزائريين[4].

_ من مظاهر الحياة الاجتماعية التي وردت في طيات التدوين لهذه الرحلة ما تعلق بالعادات والتقاليد التي تميز بها المجتمع الصحراوي، وجاء ذكرها حسب الحالة أو الظاهرة التي تشدهم بأي إطار جغرافي يمرون به ومنها : عادة تجول النساء اليهويات يوم السبت بمدينة معسكر، مظهر الضيافة وعرضه وفق مقياس الكرم والبخل من منطقة إلى أخرى، مع عرض أنواع الأطعمة التي تقدم، الإشارة كذلك إلى العادات السيئة المنتشرة مثل ظاهرة قطع الأشجار من أجل الفحم بنواحي سعيدة والتي وصفت بالتصرف الهمجي، التسول

[1] _Ibid, PP 31-43.

[2] _ Ibid, PP. 80- 128 .

[3] _ Ibid, PP. 80- 128.

[4] _ Ibid, PP. 1- 170 (Des chapitres)

عند الأطفال وهي دليل على الفقر، الشعوذة والتمائم طلبا للبركة والشفاء أو الأولاد[1].

_ ظاهرة اجتماعية تم ذكرها بأشكال مختلفة وهي علاقة الأفراد والجماعات بمختلف المناطق بالدين، وتم عرضها من زوايا مختلفة أولها سياسية حيث كان الدين عنصر وحدة واتحاد لإحداث سلطة جديدة في إطار نظام المشيخة، كما أنها كانت عامل وحدة لأجل الجهاد والمقاومة كما هو الشأن لمحمد بن عبد الله وإعلانه الثورة بسند ديني، ثانيا من زاوية اجتماعية بعرض علاقة المرابط بالسكان ومدى تأثير الاعتقاد الديني والروحي به وفي كراماته لتحقيق أمنياتهم في إطار مادي بتقديم الزيارة أو العربون المادي مقابل الدعوة لهم[2].

_تناول عنصر الدين من خانة ممارسة الشعائر الدينية منها : الصلاة، التيمم، الوضوء، المساجد، طقوس عملية الدفن ومراسيم الجنائز لكن بنوع من التهكم مثل ممارسة التيمم التي ربطها بقلة الماء وقلة النظافة، ظاهرة النواح والبكاء في الجنائز...إلخ، تطرق كذالك إلى الممارسة الدينية عند الإباضيين بمنطقة الميزاب[3].

_الإشارة إلى دور الإدارة الأهلية في دعم الحملات باختلاف أنواعها من خلال إسهاماتها المتنوعة بين دعم الحملات بالمؤونة، والعدة، والقوم، وكنموذج مثلا دائرة تيارت وجيرفيل، إضافة إلى توفير أدلاء ومرشدين للحملة حسب حدود كل دائرة يمرون بها، ففي معسكر كان الدليل من قبيلة الحشم، وفي اليعقوبية بسعيدة نجد زعيم قبيلة الحساسنة، ثم الأغا ولد قاضي بنواحي فرندة، ومن أعيان قبيلة الأحرار بمنطقة العمور....إلخ ، ويندرج كل ذلك ضمن السياسة الاستعمارية من أجل تدجين الزعامات الأهلية لصالح مشروعها الاستعمار بالصحراء[4].

_التطرق إلى الآفات الاجتماعية ومعاناة السكان من الأمراض والمرتبطة كلها بانعدام النظافة وعدم اهتمام السكان بنظافة المحيط، والأجسام، وهذه الظاهرة تم تسجيلها في أغلب الواحات والقصور: المعاية، متليلي، ورقلة....إلخ، وهذا ما سمح بانتشار الأمراض المعدية كالحمى، ومرض العيون، القمل المنتشر كثيرا لدرجة تم عرض الطريقة التقليدية للسكان للتخلص منه، نهيك الإشارة إلى قسوة الطبيعة والتي عان منها الجنود الفرنسيون كقلة المياه وتلوثها، وقلة الزاد، وانتشار الحيوانات السامة كالأفاعي ذات الفرنين[5].

_ استحضار المقومات الاقتصادية والإمكانيات المادية التي يرتكز عليها سكان تلك المناطق، والتي تم تسجيلها لاستغلالها مستقبلا في الاستيطان منها ذكر أهمية سهل غريس بنواحي معسكر، وتنوع وكثافة غابات سعيدة، إلى جانب عرض أهم النبتات الهضاب والصحراء في مقدمتها

---

[1] _ Ibid, PP . 129-170/ PP. 172-263/ PP265- 319/ PP. 384-483

[2] _ Ibid, PP. 44- 60/ PP. 172- 263.

[3] _ Ibid, PP . 44- 60/ PP. 172- 260.

[4] _ Ibid, PP . 63- 78/ PP. 80-128/ PP. 321-382.

[5] _ Ibid, PP. 265- 479 (des chapitres)

الحلفاء، الدرين، الطرفة بنواحي العمور وامتدادها إلى غاية غرداية مما يعني أنها مجال مفتوح للمشاريع الاستيطانية مستقبلا[1].

4_ استقراء أهم نتائج الدراسة:

من خلال قراءة محتوى ما جاء في تأليف العسكري ترومليTrumlet حول الرحلة الإدارية لقائد قسمة معسكرDurrieu [2] في إطار مهمة تثبيت الاحتلال في أعماق الصحراء بعد الانتصارات التي تحققت ضد الثائر محمد بن عبدالله وإجبار سكان منطقة ورقلة سواء قبائل بدوية أو سكان الواحات على الاستسلام للسلطة الاستعمارية مما استوجب الأمر تنظيم ورقلة إداريا تابعة للفرنسيين كأغوية إدارية تحت إشراف أولاد سيدي الشيخ[3].

لقد كان إذن تدوين مسار الرحلة ومتابعة حيثياتها كنموذج يمكننا من استقراء واستنتاج تلك العلاقة الترابطية طرديا بين التاريخ وعلم الأنثربولوجيا انطلاقا من ظاهرة الاستعمار، ويمكن تحديدها في:

_ بالرغم من اعتراف المختصين والباحثين من علماء في العلوم الإنسانية أنه هناك اختلاف من حيث المنهج والطريقة في العرض بين التاريخ وأنثربولوجيا كون الأول يعتمد على السرد واستحضار الماضي بينما الثاني ينطلق من الحاضر مرتكزا على الملاحظة المباشرة والمعاينة، إلا أنهما يشتركان في الأساس وهو دراسة المجتمعات البشرية وتتبع تطورها من خلال الربط بين ماضيها وحاضرها في كل ما يتعلق بالمجتمع الصحراوي، فأي دراسة منوغرافية جغرافية حولها يمكن العودة إليها أولا كمصدر تاريخي يؤرخ للمرحلة التاريخية " فترة الاستعمار"، وثانيا كدراسة أنثروبولوجية يمكن من خلالها استنتاج

---

[1] _ Ibid, PP. 129- 170/PP384- 480.

[2] _ دريو Durrieu Alfred Baron هو من مواليد 1912/9/2، تخرج من مدرسة سان سير الحربية برتبة ملازم في خط 27 سنة 1830، أدمج في أركان الجيش، وعين كملازم أول في 1836/1/1، ثم نقيب في 1840/1/18، قائد كتيبة في الفرقة الثالثة من الصبايحية في 1845/8/5، أصبح مقدم في 1849/5/1، ثم عقيد في 1851/7/111. أصبح عميد في 1853 ثم لواء في 1859/12/11. ارتبط نشاطه العسكري بإفريقيا خلال الفترة الممتدة بين 1837-1870.

ارتبط اسمه بنشاط ضباط الإدارة الأهلية حيث انتدب لعدة مهام في الشؤون العربية بداية من 1842/10/2 أين عين المكتب العربي للمدية، وشغل المنصب حتى 1847/10/10 ليصبح بعدها مدير إقليمي لشؤون العربية بمقاطعة الجزائر ثم رقي بعدها رئيسا للمكتب السياسي في 1850/6/1. أشاد الحاكم العام راندون بخبرته الحربية ومعرفته في تسيير شؤون الأهالي. عين في سنة 1853على رأس قسمة معسكر كقائد أعلى، لمدة سبع سنوات ، في سنة 1867 استدعي من قبل الحاكم العام مك ماهون كنائب ومستشارله، ليعين لاحقا حاكما عاما للجزائر لفترة قصير لم تتعدى الشهور مابين 7 و10/ 1870. توفي بباريس في 1877/9/30. طالع: R - Peyronnet. Op. Cit. PP. 245-247.

[3] Colonieu , Voyages dans le Sahara Algérien de Géryville à Ouargla « », (Paris, Extrait du tour de Monde, 1862.), P194.

- CAOM. 1J/155, GGA, BA, Organisation de l'aghalik d'Ouargla. (Arrété le 10/2/1854.)

طبائع وعادات المجتمع الصحراوي وفهم علاقاته الاجتماعية حاليا وتفسيرها بربطها بماضيها[1].

_ نستخلص نقطة أخرى وهي أنه مثل هذه الدراسات على اختلاف أشكالها سواء كانت للجغرافيين أو إداريين، أو تجار، وبعده عسكريين تدل من جهة على تطور أساليب الاستعمار الفرنسي بالجزائر تماشيا مع المتغيرات والظروف، وكذا طبائع السكان، لذلك كان التدوين المرتكز على المعاينة الدقيقة لسكان الجنوب وكل المناطق الممتدة من معسكر بالشمال الغربي نحو الجنوب الغربي يعد في حد ذاته جزء من السياسة الاستعمارية التي أقرت ابتداء من أربعينات القرن 19 وعلى عهد الجنرال بيجو ضرورة إحداث تكامل في العملية الاستعمارية بين ما هو عسكري من خلال نشاط الجيش الفرنسي، وبين ما هو سياسي مع محاولات الحكومة في سن القوانين والمراسيم التشريعية، أو إيجاد إجراءات مدنية تخدم الاستعمار[2] مثلما هو الحال في تشجيع الاحتكاك بالسكان المحليين، ومحاولة معرفة أسرارها في المجال الحضاري، والثقافي والفكري، والعقائدي عن طريق الرحلات الاستكشافية والعسكرية على حد سواء، وبهذا تتأكد فكرة أن أنثروبولوجيا وجدت لخدمة الاستعمار واتضحت معالم ذلك مع حالة التطور التي بلغها الاستعمار الفرنسي بالجزائر لتجسيد هدفه الرئيسي " الاحتلال الشامل" بضم المناطق الصحراوية، ومن هنا فقد أصبحت مثل هذه الدراسات مرجعية التوسع الاستعماري بالصحراء وتذليل كل الصعوبات الجغرافية، والمناخية، والاجتماعية، جاء برصيد معلوماتي هام لأجل السيطرة، واكتشاف نقاط الضعف واستغلالها لصالحها مثل ظاهرة الصراعات التي استخدمت كوسيلة في تشتيت القبائل وإقصاء نفوذه[3]ا .

_ نجد الأنثربولوجيا مثلما أعانت الاستعمار بكشف أسرار المجتمع الجزائري، نجدها في نفس الوقت مادة علمية ذات قيمة للكتابة حول هذه الشعوب، فهي أصبحت مرة أخرى مرجعية بمادتها العلمية لكن في يستوجب توخي الحذر وتمحيصها بحكم أنها وجدت لأجل هدف السيطرة قائمة على فكرة العنصرية والتمييز نلمس فيها تشويه لصورة المجتمع في جوانبه العقائدية وعلاقته الاجتماعية من تفسير بعض الظواهر على أساس عنصر يستمد جذوره من الصراع الأزلي بين الإسلام والمسيحية.

_ الخاتمة:

---

[1] _ أوراغي أحمد، **" الأنثروبولوجيا والتاريخ"**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، (مجلد 3، ع1، السنة)، ص ص . 217-224.

[2] _ حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائر 1844-1870، أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة(جامعة وهران:كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، 2014/2013) ص ص 59- 62.

[3] _ مرقومة منصور، المرجع السابق، ص ص. 82-83.

بالرغم من أن تدوين الرحلة كان في إطار هدف علني للاستعمار الفرنسي وهو تثبيت رسمي للسلطة الفرنسية بورقلة بعد القضاء على محمد بن عبد الله، إلا أن ماجاءت به من كم هائل من معلومات جغرافية، وحول العلاقات الاجتماعية، وطبائع السكان، نيك عن إحصاء للثروات، وأهم الأنشطة وحتى الحيوانات والمسالك هو بمثابة إنجاز يخدم المشروع الفرنسي على المدى البعيد، فكشف خبايا أي إطار جغرافي أو بشري عرقل المد الاستعماري هي معلومات ستوظف لاحقا في استيطان المنطقة.

نصل في النهاية إلى القول بأن الدراسات سواء كانت لعسكريين أو جغرافييي...إلخ هي فرصة للتأريخ حول مجال جغرافي معين في إطار كتابة التاريخ المحلي.

أهمية علم الاجتماع في البحث التاريخي" دراسة التركيبة الاجتماعية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1847م نموذجا".

الاستاذ المحاضر الدكتور سلاماني عبد القادر/
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.
الاستاذ المحاضر الدكتور قراوي نادية / كلية
العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.

الملخص: تعتبر الدراسة التاريخية بعث الماضي في صورته الحقيقية الممكنة، من خلال تصور الماضي بعد إخضاعه للمنهجية العلمية والتقيد بطرقها ولا يمكن فهم الحقائق التاريخية والأحداث وتحليل الوقائع، إلا من خلال دراسة موضوع التاريخ كدراسة شاملة للنشاط الإنساني عبر الزمن في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والقانونية والعسكرية والحضارية، فقد فرض هذا التطور لموضوع التاريخ في ضرورة الإلمام بجميع المعارف والعلوم المساعدة للتاريخ ومعرفة المفاهيم والمصطلحات وطرق التحليل والتعليل والاستنتاج ، من اجل دراسة التطور البشري والفكري والثقافي والحضاري للإنسان عبر الزمان والمكان ، ومعرفة الظواهر الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، ومعرفة التغير الاجتماعي وحركة المجتمع عبر الزمن وعلاقتها بالأحداث والوقائع التاريخية ، فلا يمكن دراسة التاريخ بدون معرفتها للبناء الاجتماعي والاقتصادي وتأثيراته في مجالات الحياة السياسية والفكرية والحضارية، فالدراسة التاريخية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمعات والأمم في ظهور الحضارات وزوالها، وتطور الأمم والشعوب في سلوكها الإنساني وعلاقاتها الاجتماعية وظهور الطبقات الاجتماعية، لذا حاولنا دراسة المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية لمعرفة دور علم الاجتماع في الدراسة التاريخية من خلال المعطيات الاجتماعية في عملية تنظيم الإدارة الاستعمارية الفرنسية للمجتمع الجزائري في ظل التوسع الاستعمارية من خلال الدراسات الانتروبولوجية لمعرفة التركيبة الاجتماعية وطرق التفكير، والمعاملات الاجتماعية والروابط الأسرية وكيفية تكوين المجتمع خلال هذه الفترة ومساعي السلطة الاستعمارية الفرنسية في كيفية القضاء على البناء الاجتماعي الجزائري.

- الهدف من الدراسة هو: - محاولة معرفة أهمية ودور علم الاجتماع في الدراسة التاريخية والبحث التاريخي من خلال دراسة المجتمع الجزائري.

- معرفة مدى أهمية الدراسة التاريخية في استخدام العلوم المساعدة في إبراز الواقعة التاريخية .

- دراسة التاريخ الاجتماعي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية كونه جزء من التاريخ الإنساني في معرفة التاريخ من جميع جوانبه ومجالاته.

- إدراك التغير الاجتماعي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية من خلال الأسباب والتأثيرات.

Title: The importance of sociology in historical research 'The Study of the Algerian Social Composition during the colonial period 1830-1847 a model'.

Summary:

Historical study is the rebirth of the past in its true possible form, by imagining the past after subjecting it to scientific methodology and adherence to its methods and can only understand historical facts, events and analysis of facts, except by studying the subject of history as a comprehensive study of human activity over time in All economic, social, political, cultural, legal, military and civilizational fields, this development has imposed the subject of history in the need to know all the knowledge and sciences that help history and know the concepts and terminology and methods of analysis, explanation and conclusion, in order to study Human, intellectual, cultural and cultural development of man through time and space, knowledge of social phenomena and human relations, knowledge of social change and the movement of society through time and its relationship to historical events and facts, history cannot be studied without its knowledge of social construction Economic and its effects in the areas of political, intellectual and civilizational life.

The historical study is closely linked to societies and nations in the emergence and demise of civilizations, the development of nations and peoples in their human behavior and social relations and the emergence of social classes, so we tried to study Algerian society during the colonial era to learn about the role of sociology in Historical study through social data in the process of organizing the French colonial administration of Algerian society under colonial expansion through anthropological studies to learn about the social composition and ways of thinking, social transactions and family ties and how to form Society during this period and the efforts of the French colonial power in how to eliminate the Algerian social construction.

The purpose of the study is: - to try to know the importance and role of sociology in historical study and research through the study of Algerian society. To know the importance of historical study in the use of science to help highlight the historical

reality. - The study of Algerian social history during the colonial period as part of human history in the knowledge of history in all its aspects and areas. Awareness of Algerian social change during the colonial period through causes and influences.

المقدمة:

تعتبر العلوم الإنسانية والاجتماعية متداخلة ومترابطة فيما بينها، بحيث لا يمكن للباحث دراسة علم مستقل عن العلوم الأخرى المساعدة له، فالتاريخ لا يمكن تحليل محتواه ودراسته من دون العودة إلى بعض المعارف الإنسانية الأخرى لان التاريخ يرتبط بالإنسان والزمان والمكان والأحداث والوقائع التي يقوم بها البشر عبر مراحل حياتهم، ولكل علم من العلوم المساعدة للدراسة التاريخية إلا ولها أهمية حسب طبيعة موضوع الدراسة، فالتاريخ يعتبر فرع من فروع العلوم الاجتماعية فلا نستطيع دراسة الوقائع التاريخية إلا من خلال معرفة المجتمعات التي قامت بتلك الأحداث، فالتاريخ يعنى بالتغير الاجتماعي والبنى الاجتماعية في المجتمعات، ونحن بصدد دراسة حالة المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية وآليات التغيير التي حدثت فالمجتمع خلال هذه المرحلة التاريخية ما بين 1830- 1847م.

1- أهمية الدراسة التاريخية في استخدام العلوم المساعدة في إبراز الواقعة التاريخية.

هناك العديد من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ فلسفية وفكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وحضارية ونفسية تتحكم في دراسة الظاهرة التاريخية، ومن بين الأهمية التي ترتبط بعلم الاجتماع كونه من العلوم المساعدة للدراسة التاريخية هي دراسة النفسيات الاجتماعية والعلاقات المعنوية الأسرية ودورها الاقتصادي والمعرفي للوسط الاجتماعي والديني للوصول إلى قوانين لإيضاح الحاضر الإنساني ومستقبله.

يعتبر علم الاجتماع من العلوم وثيقة الصلة بعلم التاريخ والتي يحتاج المؤرخ الوقوف عليها لتساعده في فهم الأحداث التاريخية وعلم الاجتماع كعلوم الإنسان يقوم بدراسة شاملة للأفعال والعلاقات الإنسانية ومن المعروف إن التاريخ يهتم بدراسة شاملة للأفعال والعلاقات الإنسانية. ومن المعروف إن التاريخ يهتم بدراسة التغير الاجتماعي مثلما يهتم بدراسة التغير السياسي والاقتصادي والديني والحربي، أي انه يهتم بدراسة حركة المجتمع داخل الزمان.

ومن الأمور التي تهم كلا من علماء الاجتماع والمؤرخين دراسة الطبقة الاجتماعية ومكانها في المجتمع، والطبقة في مفهوم الاجتماعيين تجمعات يقيم أفرادها علاقات فيما بينهم ويؤيدون استمرار تلك العلاقات على أساس من المساواة تميزا لهم عن أفراد آخرين من أعضاء المجتمع يتميزون عنهم – ولو إلى حين- بمقياس للاستعلاء أو التدني معترف بها في إطار مجتمعهم . وتنشأ طبقة ما نتيجة تفاوت الظروف الاقتصادية بين الأفراد من حيث قدرتهم على الكسب والإنفاق .

يهتم علماء الاجتماع بأسس التناقض الطبقي وأنماط السلوك التي تميز مختلف الطبقات، وبأنواع التوتر التي تنشا بين تلك الطبقات، وكلها وسائل تهم المؤرخ دون شك وتساعده في تفهم المجتمع في مجال الدراسة.

يدرس علم الاجتماع الإنسان من خلال من خلال التعرف على القوانين التي تتناول افعال الناس وعلاقاتهم ببعضهم، وما يتصل بذلك من مظاهر التغير الاجتماعي، وهذا ما جعل علم الاجتماع على صلة بالتاريخ ، فالمؤرخ يحتك بعلم الاجتماع من خلال دراسته للتغير الاجتماعي في الماضي ، وتتبع حركة المجتمع داخل الإطار الزمني، كما المؤرخ مضطر للتعامل مع علم الاجتماع حتى في قراءة النصوص وتفسير الأحداث التي لها صلة بالنظم والعادات ليتمكن من فهم التطورات من خلال غاياتها ومراميها الاجتماعية[1] .

2- دور علم الاجتماع في الدراسة التاريخية والبحث التاريخي من خلال دراسة المجتمع الجزائري.

دراسة الحالة الاجتماعية في التاريخ يتطلب معرفة الحياة الاجتماعية من خلال الكشف عن الطبقات الاجتماعية ومركزها الاجتماعي فمن خلال تتبعنا للمجتمع الجزائري قبيل فترة الاحتلال الفرنسي لاحظنا من خلال الدراسة ذلك التمايز الطبقي الذي كان خلال الفترة العثمانية بالجزائر فقد عملت السياسة العثمانية على إبعاد الجزائريين عن المناصب الهامة، ولم يثقوا حتى في الكراغلة،[2] وقد كان لهذه السياسة المتخذة في البلاد أثر بالغ في مجال العلاقات الاجتماعية، والتي انعدم فيها التواصل بين القاعدة والقمة مع انعدام الروابط الاجتماعية التي تجعل من الشعب وحدة متماسكة[3]، ومن خلال هذا التباين تولدت صرا عات بين فئات السكان من جهة وبين السكان والنظام من جهة أخرى[4]، وعلى الرغم من أن الطائفة العثمانية في الجزائر قليلة مقارنة مع بقية السكان حيث لا تتجاوز 20 ألف نسمة،[5] إلا أنها كانت معزولة والدافع لذلك هو الرغبة الجماعة العثمانية في إبقاء هيمنتها على المناصب الحكومية وصيانة تقاليدها في نظام العيش والسلوك[6].

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص 22.

[2] - محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 352.

[3] - بن عبد الرزاق السبع، الأمير عبد القادر الجزائري أديبا، الإسكندرية، 1988، ص 48.

[4] - عميراوي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري "بداية الاحتلال"، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984، ص 22.

[5] - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 42.

[6] *-Ch.R.Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine1830-1873, éd.Presse universitaire, Paris, 1980, p. 05.*

كان سكان الأرياف يمثلون الأغلبية من سكان الجزائر يمثلون 90% من السكان[1]، وعليهم يعتمد اقتصاد الإيالة خاصة من الناحية الزراعية، ونظرا لاختلاف مواقف سكان الأرياف من سلطة العثمانية يتمكن تصنيفهم على هذا الأساس، عملت الفئة الأولى على التعايش والتعاون مع العثمانيين بعيدة عن الصراعات لتكون بمنأى عن ثقل الضرائب، وخضعت الفئة الثانية خضوعا تاما للعثمانيين، الفئة الثالثة: مستقلة عن النفوذ العثماني بعيدة عن تحكم رجال البايلك، الصنف الأول المتعامل مع العثمانيين مقابل فوائد متبادلة يعرف عادة بقبائل المخزن التي اتخذت بمرور الوقت رغم تباين أصولها شكل القبائل الدوابر والزمالة تكونت نتيجة ظروف تاريخية في مجموعات عرقية مغلقة كمخزن الكراغلة والعبيد.[2]

أما الفئة الثانية الخاضعة للعثمانيين مباشرة فقد أثقل الحكام كاهلها بالضرائب وشرد أبنائها وصودرت أراضيهم الجيدة عاشت حياة بؤس وشقاء وقامت بعدة ثورات ضد الحكام العثمانيين. كما كانت الفئة الثالثة تعيش بالجبال على شكل قبائل ضعيفة العاطفة الدينية كانت تتكلم لهجات بربرية عمقت الفارق نظرا لطبيعة أسلوب هؤلاء القبائل[3]، فعموما مجتمع الريف فتكون من طبقتين طبقة إقطاعية مالكة تسيطر على الريف تتقاسم إنتاجه الأرستقراطية الحاكمة بالمدينة وفئة الرعية مع كثرة عددها حيث كان هناك تميز بين رجال الطبقة الأرستقراطية ورجال الرعية في جميع الأشياء – اللباس، بذل الجهد، الأكل والحقوق السياسية، وكانت أحوال الرعية تزداد سوءًا حينما تحدث مجاعات أو حروب أو جفاف[4] جفاف[4] ونتج عن هذا أن أصبحت العائلات الإقطاعية الكبرى تسيطر بمالها بامتيازات تتحكم في توجيه سكان الأرياف مما دفع السلطة العثمانية تتعامل مع هذه العائلات[5].

ساهم الأشراف في الحياة الاجتماعية بالريف حيث انقسموا إلى قسمين "أجواد ومرابطين" وكانوا يتحكمون في الفئة المستقلة عن السلطة العثمانية، الأجواد فارضين هيمنتهم على السكان بحد السيف وكانوا يتهمون المرابطون بالطموح نحو الثورة والسلطة عن طريق استغلال العاطفة الدينية لدى العامة، من أجل كسب المال والوصول للسلطة، أما المرابطون المستمدين نفوذهم عن طريق الزوايا والطرق الصوفية التي كانت منتشرة بالأرياف كانوا يصفون الأجواد

[1]- بن عبد الرزاق السبع، المرجع السابق، ص 49.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 49.

[3]- محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، 1968، ص 24- 25.

[4]- عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص 33.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 50.

بالعنف ونهب الأموال للناس بالقوة،[1] وتركت السلطة العثمانية هذا التنافس خدمة لمصالحها.

- سكان المدن: اتخذ التنظيم الاجتماعي بالمدن شكلا هرمي تحتل قيمته الطائفة العثمانية المنعزلة عن الطبقات الاجتماعية الأخرى تكرسا لهيمنتها على مناصب الحكم والسلطة وحفاظا على تقاليدها المتوارثة يليها طبقة الكراغلة التي تكاثر عددها خاصة بالمدن الكبرى نتيجة تزاوج الجيش الإنكشاري مع الجزائريات،[2] وكونوا بذلك طبقة اجتماعية متميزة ذات ثقل اجتماعي وعلى الرغم من الصلة الوثيقة التي تربط العثمانيون بالكراغلة إلا أنهم ظلوا مبعدين عن المهام الكبرى بالدولة نتيجة تخوف العثمانيين من نشأة حلف بين الكراغلة والأهالي بحكم القرابة التي تجمعهم والتي تهدد الامتيازات والمصالح التي يتمتع بها العثمانيون، أما ما بقي الفئات الاجتماعية من السكان بالمدن فيمكن تصنيفهم لثلاث طبقات رئيسية: الحضر – طبقة البراني – طبقة الدخلاء. فطبقة الحضر تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد أو من مهاجري الأندلس الفارين وقد تمركزت بأهم المدن الساحلية [3]، والجالية اليهودية يعود أصولهم لليهود المحليين الذين استقروا بالجزائر بالإضافة ليهود الأندلس القادمين مع مسلمين الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى مع نهاية القرن 15م حتى بداية 17 وانضم إليهم اليهود ليفرون من الموانئ الإيطالية بعد منتصف القرن 17م للممارسة في التجارة وتصريف غنائم الجهاد البحري[4]، أما الدخلاء فهذه العناصر تعتبر أجنبية عن المجتمع الجزائري المتمثلة في التجار الأجانب والقناصل الأوروبيين ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية وجماعات الأسر المسيحيين الذين كانوا كأغلبية ساحقة من هذه العناصر الداخلية مع نهاية القرن 16م.[5]

من خلال تتبعنا للتركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري نستنتج أن هناك تباين طبقي، أكدت عليه السلطة العثمانية لبقائها وفرض سلطتها، ولكن هذا التمايز الطبقي في المجتمع خلال الفترة العثمانية هل استمر بعد نهاية العهد العثماني وكيف تعاملت السلطة الاستعمارية الفرنسية من جهة مع فئات المجتمع الجزائري وما موقف هذه الفئة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، وما موقف المجتمع الجزائري من المقاومة الشعبية الوطنية خلال هذه المرحلة، ولمعرفة موقف المجتمع الجزائري من الاحتلال الفرنسي لا بد من التطرق إلى التركيبة الاجتماعية خلال المراحل الأولى من الاحتلال وردود الفعل الوطنية من هذا الاحتلال.

---

[1]- بن عبد الرزاق السبع، المرجع السابق، ص 51.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 43.

[3]- عميرات حميدة، عثمان خوجة حياته وآثاره، مجلة الثقافة، العدد93،الجزائر،1985، ص 105.

[4]- المهدي البوعبدلي- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص 101-102.

[5]- نفسه، ص 104-105.

3- التاريخ الاجتماعي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية مابين 1830-1847م.

بعد توقيع الداي حسين لمعاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 للجنرال ديبورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، شهدت هذه المرحلة التاريخية فوضى عارمة مست المجتمع الجزائري بعد شغور القيادة السياسة ظهر ذلك الفراغ السياسي[1]، وغياب السلطة والأمن، وهذا ما أدى إلى ظهور النعرات القبيلة والفتن بين الطبقات الاجتماعية التي كانت تعاني من تسلط الطبقة العثمانية الحاكمة، وكان للحكم العثماني في الجزائر انعكاسات اجتماعية كبيرة، ظهرت نتائجها بشكل واضح عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أثرت التركيبة الاجتماعية، لذا لابد من التعرف على التشكيلات المكونة للنسيج الاجتماعي، مع معرفة طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين تلك التشكيلات.

نستنتج من خلال الدراسة الاجتماعية للمجتمع الجزائري قبيل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر مدى تمايز التركيبة الاجتماعية، فالقبائل المخزنية كانت تبحث عن سلطة جديدة تحتفظ بها على امتيازاتها الكبيرة خلال العهد العثماني، ومن ناحية أخرى كانت هناك عدة قبائل تعاني من استبداد الحكام العثمانيين، ومساندهم مما جعلهم يبحثون عن الفرصة الملائمة للانتقام، فالوضعية الاجتماعية قبيل الاحتلال الفرنسي اتسمت بالفوضى و انعدام توافق بين توجهات مختلف العناصر الاجتماعية، ومن الملاحظ من خلال هذه دراسة للحالة الاجتماعية في معرفة دور كيفية استخدام علم الاجتماع في تحليل وتفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال المعطيات التاريخية والتمايز الطبقي الذي شهدته الجزائر قبيل فترة الاحتلال الفرنسي وكيف أصبحت تلك التشكيلات الاجتماعية خلال الاحتلال الفرنسي.

تباينت المواقف السكانية حول الاحتلال الفرنسي للجزائر، بعد الفوضى العارمة التي شهدتها البلاد وخاصة بعد عملية التوسع الفرنسي وخاصة على حساب المدن الساحلية فمن أهم الأولويات التي اهتمت بها السلطات الاستعمارية الفرنسية هو احتلال مدينة وهران والتي توادت بها عدة تشكيلات سكانية أهمها قبائل المخزن و الحضر بتلمسان وقبائل الرعية.

- العلاقات الاجتماعية في إطار المقاومة الوطنية :

بعد التدخل العسكري الفرنسي على مدينة وهران ونهاية الحكم العثماني بالمنطقة عمل الشيخ محي الدين على إيقاف تلك الفوضى والاضطراب في ظل الأوضاع القائمة،[2] خلال تلك المرحلة بعد فشل كل من التواجد التونسي بالمنطقة الغربية للبلاد والتواجد المغربي الذي لم يستطع إعادة الأمن والاستقرار للمنطقة[3]، وهذا ما أدى بالشيخ محي

---

[1]-*G.Esquer, La prise d'Alger 1830, éd. Librairie Larose, Paris, 1929, p. 312.*

[2]- الآغا بن عودة المازاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا وإسبانيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، ص 95.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1992، ص 168.

الدين للمبادرة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، والعمل على إرساء قواعد وأسس جديدة لمقاومة المحتل الفرنسي من خلال المبايعة التي خصت الأمير عبد القدر خلال هذه المرحلة التاريخية وذلك لشروط توفرت فيه.[1]

لقد تحكمت مجموعة من العوامل في علاقة الأمير عبد القادر قائد المقاومة الشعبية مع بقايا السلطة العثمانية بالجزائر واتصفت علاقاته مع العثمانيين بالعدائية،[2] فمعظم قبائل الرعية التي بايعت الأمير عبد القادر كانت تعاني من التعسف من طرف هذه الفئة العثمانية، فانضمت بقايا القوات العثمانية في الجزائر إلى قوات الاحتلال الفرنسي في كل من وهران ومستغانم ومعسكر وتلمسان.[3]

اعتبر الأمير عبد القادر فئة الكراغلة عنصر يمثل خطرا على التركيبة الاجتماعية لما كانت تتميز به هذه الفئة عن الفئات الاجتماعية الأخرى خلال العهد العثماني، فالتنظيم الاجتماعي الذي حاول الأمير عبد القادر إتباعه قائم على المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية لتحقيق الوحدة الاجتماعية حتى يكون لها دور في المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي.[4]

أولت قبائل المخزن التي كانت لها امتيازات كبرى خلال العهد العثماني،[5] ولائها في المرحلة الأولى للمقاومة الوطنية، ولكن سرعان ما تخلت عن المقاومة وربطت صلاتها بالاحتلال الفرنسي وأصبحت خاضعة له وتعمل تحت سلطته.[6]

إن التفسير الاجتماعي للظاهرة التاريخية من خلال المعطيات التاريخية يوضح لنا ان التركيبة الاجتماعية بعد نهاية العهد العثماني في الجزائر كانت جد معقدة ، وتميزت بالتباين الطبقي بين المجموعات السكانية سواء في المدن أو الأرياف جعلتها خلال الاحتلال الفرنسي تفقد مكانتها الاجتماعية إلى جانب حالة الفوضى ولا استقرار التي عاشتها الجزائر خلال هذه المرحلة، أدى لزيادة الضغائن والنعرات القبيلة والفتن وإذكاء روح الانتقام من ذلك التعسف والظلم التي كانت تعيشه القبائل خلال العهد العثماني ، ونستخلص من ذلك أن المقاومة الشعبية الوطنية جاءت في ظروف اجتماعية استثنائية صعبة تحكمها العصبية القبلية التي لا تساعد على إرساء قواعد

---

[1]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2004، ص 16.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر،2009، ص 241.

[3]-*M.Emrit, L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, éd. Larousse, Paris, 1951, p. 31.*

[4]- المهدي البوعبدلي- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 110.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 344.

[6]-*P.Azan, Les grands soldats de l'Algérie, éd. Pigelrt, Orleans, 1930, p. 38.*

الوحدة والتضامن والتماسك الاجتماعي لمواجهة الاحتلال الفرنسي.

4- آليات التغيير الاجتماعي الجزائري في ظل السياسة الاستعمارية الفرنسية:

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني بالجزائر في اعتمادها على طرق وأساليب في إخضاع الشعب الجزائري بتسليح قبائل ضد أخرى، للتفرقة بين الشعب والعمل على تفكيك وحدة المجتمع، وذلك كما فعل العثمانيون مع قبائل المخزن قدموا لهم امتيازات مقابل تسليطهم على قبائل أخرى كانت ضد التواجد العثماني بالجزائر[1].

نستخلص من خلال الدراسة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إن السلطات الاستعمارية الفرنسية استطاعت من خلال دراسة التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري الاستفادة من النظام وطرق والأساليب المتبعة لإخضاع المجتمع للسلطة العثمانية ونفس الأسلوب استخدمته السلطات الاستعمارية الفرنسية في تعاملها مع المجتمع الجزائري وذلك من خلال الاستفادة من الدراسة الاجتماعية للمجتمعات وكيفية السيطرة عليها في معرفة التأثيرات الاجتماعية وكيفية التحكم فيها ، من خلال تحكيم التمايز الطبقي وكيفية توظيفه في المنظومة السياسة وأنظمة الحكم.

فمن الناحية التاريخية يقول ريشار"Richard ":" إذا توصلنا من تقسيم السكان إلى معسكرين متحاربين ومتعادين إذن نستطيع وضع حدا فاصلا بين مجموعتين من السكان هي متحدة ومتضامنة لمحاربتنا "[2].

عملت السلطات الفرنسية على استخدام بعض المناوئين الجزائريين لخدمة مصلحة فرنسا والقضاء على المقاومة الوطنية حتى لا يتسنى لها تجميع قواها ضد قوات الاحتلال الفرنسي، حيث لم تكن لهؤلاء المنشقين قيادات واسعة بل كانوا تحت مراقبة قوات الاحتلال الفرنسي،[3] لذا اعتمد الجنرال بيجو سنة 1841م في حربه ضد المقاومة الجزائرية عملية التفرقة بين الجزائريين حتى لا يتمكنوا من إعطاء نفسا ودفعا جديدا ودعما ماديا ومعنويا للقوات الوطنية الشعبية لمواصلة مشروع الدفاع عن الوطن، وأدرك الجنرال أن تجنيد الأمير عبد القادر للشعب الجزائري يمكنه لاحتضان المقاومة الوطنية، وذلك بمساعدات عن طريق توفير المؤن، والذخيرة الحربية لمواجهة القوات الفرنسية ذات التجهيز المحكم والمنظم وعمل الجنرال لتشجيع عملية التفرقة بين القبائل الجزائرية بكسب قيادات ضد أخرى لتحطيم

-[1] W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier*, Paris, 1849, p. 233 -234.

[2] - Ch. Richard, *Étude sur l'instriction du Dahra 1845-1846*, Alger, 1846, p. 185 -186.

[3] - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871),P.U.F,Paris,1964,* p. 231 – 232.

المقاومة الشعبية الوطنية وتمويه الشعب الجزائري[1].

كما اعتمد على مراقبة الوضع الجزائري بجمع المعلومات للتعرف على تحركات القبائل ومصادر تموينهم ومراقبة القبائل التي تساند المقاومة الشعبية الوطنية يقول الجنرال بيجو " إن استعانتنا بهؤلاء الرؤساء أو العائلات الكبيرة يعد وسيلة مهمة لتعيين مواقع المقاومة وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بسهولة، هذه العملية تدخل في إطار الأمن والتبادل التجاري، كما أعطيت لهؤلاء الأعوان مهمة مراقبة الأشخاص الذين يمرون عبر المناطق ومراقبة الذين يحرضون الشعب بنشر أفكار معارضة ضد وجودنا في البلاد "[2]، وقد سعى بهذه الأساليب سنة 1841م من أجل توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر وعمل على إحباط معنويات الشعب الجزائري في احتضان المقاومة الشعبية وتموينها بعدما فرض عليهم عقوبات صارمة من خلال الحملات الفرنسية المتتالية والمتتابعة، وهذا ما أدى لانشغال الأمير عبد القادر في 1843م بإخضاع القبائل الجزائرية لمساندة المقاومة الشعبية الوطنية، حيث عملت السلطات الفرنسية لاستمالة عدة قبائل بالوعود والرشاوي والتهديدات وإجراءات قاسية ضد القبائل الجزائرية،المساندة لقوات المقاومة الشعبية الوطنية، وذلك من أجل السيطرة عليها، وجعلها حليفة للقوات الفرنسية لتستعملها كقوات احتياطية[3]، من أجل القضاء على عملية التطوع في جيش المقاومة الوطنية والسعي لكي لا يتم تموين القوات الشعبية الوطنية التي كان الأمير عبد القادر يستلهم منها قواته للمشاركة في الدفاع عن الوطن والعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت أكثر إصرارا وتنظيما من اجل التوسع وإنجاح عملية الاحتلال .

استفادت قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر من دراسة وضعية المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني حيث استعمل العثمانيون بالجزائر أمام تزايد عدد الجزائريين في ثرواتهم التفرقة بين القبائل الجزائرية ليجعلونهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم[4].

5- تأثيرات السياسة الفرنسية في تحطيم البنى الاجتماعية:

عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على تحريض القبائل الموالية للمخزن العثماني ضد المقاومة الوطنية، بعدما رفضت بعض القبائل الجزائرية بإقليم وهران، الخضوع للصف الوطني وفضلت التعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي، لذا قام الأمير عبد القادر بإصدار إجراءات صارمة تمنع الشعب الجزائري بإقليم وهران التعامل مع

---

[1] - *Ibid* ,p. 225 – 227.

[2] - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud, éd. Larousse*, Paris, 1955, t. 2, p. 287.

[3] - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 211.

[4] - E. Cavignac, *La régence d'Alger note sur l'occupation, éd.* Magen, Paris, 1839., p.56.

قوات الاحتلال الفرنسي والمتاجرة معه،[1] تكررت عروض زعماء قبائل الدواير والزمالة لإعلان خضوعهم للقوات الفرنسية، فقاموا ببعث وفد للجنرال الفرنسي تريزل يطلبون منه الخضوع وتم إمضاء الاتفاقية بعين البيضاء بوهران بتاريخ 16 جوان 1835م،[2] أجبر الجنرال تريزل قبائل الدواير والزمالة الخضوع للقوات الفرنسية، وقام بترحيلهم إلى مسرغين في 14 جوان 1835م، اتفاقية التينة بين الجنرال تريزل وقادة قبائل الدواير والزمالة تعتبر نقضا للمعاهدة التي أبرمها الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشال حتى لا يتسنى للأمير عبد القادر تنظيم صفوفه وتهيئة الوضع لإفشال المشروع الاستعماري، لذا قامت السلطات الفرنسية بخرق إحدى بنود الاتفاقية لاستئناف الحرب والاستفادة من فرسان الدواير والزمالة نظرا لمعرفتهم الجيدة لمنطقة الغرب الجزائري، ومصادر تموينها لذا استغلتهم في مصلحتها للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية، والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري حتى لا يتم تجنيدهم ضد المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

لقد اعترف الجنرال لامورسيير بأعمال فرسان الدواير والزمالة في خدمة توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر يوم 4 أكتوبر1845م، بعث تقريرا لوزير الحرب يشيد فيه دور المخزن لتوطيد الاستعمار الفرنسي بالجزائر[3]، ولنقص الوعي السياسي والبعد الوطني لدى بعض رؤساء الطرق الصوفية بالجزائر التي ارتدت عن الجهاد، رغم أن المصير كان واحدا، ولكن الشيخ التيجاني بعد الاحتلال الفرنسي للأراضي الجزائرية يرتد عن طاعة أمير المؤمنين ويقف ضد الوحدة الوطنية في مجابهة الكافر المسيحي المغتصب لأراضيه وحرمات النساء، والمساجد والى جانب عمليات الإبادة والأرض المحروقة الممارسة ضد الشعب الجزائري الا أنه فضل الأمان للفرنسيين والخضوع لهم والاستكانة للعدو.

من خلال التفسير الاجتماعي لظاهرة استكانة بعض الطرق الصوفية للاحتلال الفرنسي وخدمة لمشروعه كالطريقة التيجانية، فمن خلال تحليلنا لظاهرة استخدام الدين في المشروع الاستعماري من خلال معرفة سلطات الاحتلال الفرنسي مدى التأثير الديني في المجتمع الجزائري وخاصة من قبل الطرق الصوفية التي كان لها صدى اجتماعي واسع النطاق ، فعملية التفكيك الاجتماعي وضرب وحدة المقاومة الوطنية تمثلت حتى في كيفية استخدام الدين في بعده الاجتماعي لإنجاح المشروع الاستعماري.

استهدفت السياسة الفرنسية جزأرة الحرب بالجزائر، وذلك بكسب مؤيدين لها بالبلاد يعملون لخدمتها ومصالحها الاستعمارية، لذا عملت على

[1]- تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 99.

[2]- A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, éd.* Bouchene, Paris, 2003., p. 60-61. -

[3] A. Belmare, Abdelkader sa vie politique et militaire,op.ct., p. 223 -225.

مبدأ التفرقة بين الشعب الجزائري حتى تقضي على المقاومة الشعبية، وتستفيد من هؤلاء المنشقين نظرا لمعرفتهم بتضاريس المنطقة التي يعملون بها، ويتم تجنيد هذه القوات الجزائرية إلى الصف الفرنسي لخدمة مصالح الاحتلال الفرنسي، وذلك من أجل المحافظة على ميزانية الدولة الفرنسية وتخفيض نفقاتها الحربية، لذا قام الجنرال كلوزال بإنشاء قوات عسكرية تعمل على حرق المحاصيل والمنازل وتقوم بقطع الأشجار تدعى كتيبة الزواف، من السكان الجزائريين بمنطقة القبائل[1]، وفق قانون 10 أكتوبر1830 يتكون أغلبهم من الزواوة الذين يعيشون شرق الجزائر بجبال جرجرة[2].

أعطت قوات الزواف والقناصة دفعا قويا في الحملات العسكرية الفرنسية، إلى جانب قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري، لتوطيد الاستعمار الفرنسي والعمل على تحطيم وإفشال كل سبل المقاومة الجزائرية، باستعمال كل الطرق التي يمكنها القضاء عليها وتجنيد جزائريين ضد إخوانهم خدمة للمصلحة الفرنسية، يمكن الاستفادة منهم كمرشدين وجنود في صفوف الجيش الفرنسي تجسيدا للمشروع الاستيطاني الفرنسي.

تشكلت فرقة الصبايحية في العهد العثماني من بعض أبناء الشعب الجزائري ينتمون للعائلات الكبيرة يجندون لخدمة آغا العرب يوفر الصبايحي حصانه، وبندقيته،[3] وقد صدر أمر ملكي في07 ديسمبر1841م يقضي بتحويل هذه الفرقة إلى فرقة منتظمة تخضع للجيش الفرنسي وتعمل في صفوفه فتم ترسيم الفيلق الأول بمقاطعة الجزائر والفيلق الثاني بوهران والفيلق الثالث بقسنطينة.[4]

6- انعكاسات السياسة الفرنسية في تفكيك وحدة الشعب الجزائري:

قامت السلطات الفرنسية بالجزائر لتحقيق نفوذها الاستعماري، بالعمل على التقرب من الشخصيات المحلية وكلفتهم بمراقبة السكان، ويتم اختيار هذه الشخصيات حسب نفوذ قوات الاحتلال الفرنسي بالمنطقة ويتم تعيين آغا للعرب، أحدث الجنرال روفيقو الحاكم العام بالجزائر سنة 1833م فرعا سماه المكتب العربي يطلق عليه مصلحة الشؤون العربية ،[5] كانت هذه الهيئة الفرنسية تعمل من أجل إخضاع القبائل

---

[1]-J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique, éd.* Renault, Paris, 1858., p. 52.

[2]-S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouavres, éd.* Lacheseet, Paris, 1898, p. 5.

[3] - عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514-- 1830 ،دار هومة للطباعة والنشروالتوزيع ، الجزائر ،2004، ص. 318.

[4]-V. De Paradis, *Alger au 18ème siècle, éd.* Fagnan, Alger, 1898, p. 75 -76.

[5]- X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif Ouarsenis Sarsou, éd.* Larousse, Paris, 1953, t. 1, p. 10-11.

الجزائرية للنفوذ الفرنسي بالجزائر ومهدت لإدارة الشعب الجزائري، كان هدف الجنرال روفيقو من إنشاء الديوان العربي بالاعتماد على مترجمين مختصين في الشؤون العربية،[1] الاتصال برؤساء القبائل في جميع أنحاء البلاد وطمأنتهم بأن الإدارة العسكرية الفرنسية، لا تنوي أن تلحق الضرر بهم إذا ما تعاونوا معها وساعدوها ضد المقاومة الشعبية الوطنية، أول شخصية عينت لهذا المنصب النقيب لامورسيير الذي كان يتقن اللغة العربية، حيث أعطى هذا الضابط دفعا كبيرا لهذه المصلحة للدعاية من أجل سياسة التوسع الاستعماري[2]

شهر أفريل 1837م تم إعادة تأسيس إدارة الشؤون العربية بقيادة الرائد بليسي" Pellissier "، كلف بمراقبة تحركات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر، لقد قدم بليسي استقالته وخلفه النقيب ألونفيل"Allanvile"،كما قام الجنرال فالي بمقاطعة قسنطينة بتنصيب بعض شيوخ قبائل المنطقة مثل سي حمودة ولد سيدي الشيخ تحت وصاية السلطة الفرنسية، الهدف من هذا النظام الإداري الفرنسي خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر والتعرف على بنية المجتمع الجزائري، والعمل على كيفية تفكيكه

[1]-R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, *op.cit.*, t. 2, p. 194.

[2]-E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, Librairie Militaire,Paris, 1854., t. 1, p. 291 -300.

وإخضاع شعبه[3]، كانت إدارة الشؤون العربية 1837م مسؤولة عن عملية الاتصال برؤساء القبائل والتفاوض معهم، وإقناعهم بالتعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي، مقابل احترامها لأساليب عملهم وتقاليدهم وتوفير الأمن والاستقرار بمناطقهم وحماية مصالحهم[4] .

استغل الجنرال بيجو نفوذ رؤساء القبائل وخاصة بالناحية الشرقية من البلاد، وتم تأسيس إدارة الشؤون العربية في16 أوت 1841م، وعين الضابط دوما رئيسا لها ،أنشئت إدارة المكاتب العربية بمقتضى مرسوم وزاري 1 فيفري 1844م، لقد أدخل الجنرال دوما "Daumas" تعديلات على إدارة الشؤون العربية بوضع سلم إداري للمؤسسة[5].

تعريف المكتب العربي: حسب هيقونيت "Hugonet" هو حلقة وصل بين الجنس الأوربي

[3]-Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), op.cit.*, p. 334 -335.

[4]-X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif Ouarsenis Sarsou*, *op. cit.*, t. 1, p. 13 -14.

[5]-Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine contemporaine conquête et colonisation (1827-1871), op.cit.*, p. 334 -335.

الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ 1830م والجزائريين الذين يقطنون البلاد[1].

قرر الجنرال بيجو شهر فيفري 1844م تأسيس وبصفة رسمية المكاتب العربية، بوضع هياكل إدارية تعمل من أجل إخضاع الجزائريين وتم تقسيم المكاتب العربية لإدارة الشؤون العربية على مستوى القيادة العسكرية بتقسيمها إلى ادارت فرعية بالمقطعات الثلاث الموجودة بالجزائر، لكل مقاطعة وحدات من الدرجة الأولى وأخرى ثانوية من درجة ثانية وحسب هذا القرار الوزاري تم إنشاء المكاتب العربية يعمل بها إداريون بكل مقاطعة[2].

تعتبر دراسة المجتمع الجزائري من قبل ضباط فرنسيين والعمل على معرفة أراضيه الزراعية وتنظيماته، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومصادر تموين المقاومة، ذات أهمية قصوى للاستعمار الفرنسي وذلك من أجل تحقيق النفوذ الفرنسي وتوسعاته، والعمل على تفكيك المجتمع وتشتيت قواته والقضاء على وحدته التي كان يسعى الأمير عبد القادر إلى تحقيقها.

لكن المساعي الفرنسية والدراسات الأنتروبولوجية، عن طريق عدة ضباط فرنسيين يتقنون اللغة العربية، لهم اطلاع على عادات العرب وتشكيلاتهم الاجتماعية، استطاعوا كسب عدة رؤساء قبائل إلى صفهم وتشكيلات اجتماعية وعسكرية استطاعت من مساندتهم كفرق الزواف والصبايحية، خدمة لمصالح قوات الاحتلال الفرنسي.

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني بالجزائر في اعتمادها على طرق وأساليب في إخضاع الشعب الجزائري بتسليح قبائل ضد أخرى، للتفرقة بين الشعب والعمل على تفكيك وحدة المجتمع، وذلك كما فعل العثمانيون مع قبائل المخزن قدموا لهم امتيازات مقابل تسليطهم على قبائل أخرى كانت ضد التواجد العثماني بالجزائر.

نستنتج من خلال الدراسة التاريخية للمجتمع الجزائري، وآليات التغيير التي طرأت على البنية الاجتماعية من خلال تأثير السياسة الاستعمارية الفرنسية على المجتمع الجزائري، والوسائل الجديدة التي استحدثتها للتحكم في البناء الاجتماعي والأدوات التي تنظمه، وتتحكم فيه من خلال عدة دراسات اجتماعية وانتروبولوجية للمجتمع الجزائري، استطاعت من خلالها السلطات الاستعمارية الفرنسية التعرف على مكامن القوة والضعف في المجتمع الجزائري وكيفية التحكم فيه.

---

[1]-F. Hugonet, *Souvenirs d'un chef de bureaux Arabe, éd.* Levry, Paris, 1858, p. 5-6. -[1]

[2]-Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), op.cit.*, p. 334 -335.

الخاتمة:

إن أهمية الدراسة من خلال المعطيات الاجتماعية التي تستطيع أن تغير من توجهه الاجتماعي والإنساني له ا دلالة وثيقة بعلم الاجتماع وتأثيراته في الوسط، ومن خلال الدراسة التاريخية حول التركيبة الاجتماعية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1847م نموذجا"، توصلنا إلى مجموعة النتائج التالية:

إن دراسة المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية مر بمجموعة من المراحل حسب الفترة الزمنية التي قمنا بدراستها فمن خلال تحليلنا للوضعية الاجتماعية للمجتمع الجزائري لاحظنا مدى التأثير الاجتماعي الطبقي والتمايز بين تلك الطبقات الاجتماعية التي ولدتها السلطات العثمانية قبيل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وكيف استطاعت السلطة العثمانية من فرض تواجدها في ظل التركيبة الاجتماعية الجزائرية التي كانت مبنية أساسا على مجموعة من الفوارق والامتيازات وإذكاء الصراع القبلي.

ومن جهة أخرى أن نهاية العهد العثماني في الجزائر في ظل تلك البنية الاجتماعية ، ومع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وتوسعاته أدى هذا التوسع الاستعماري إلى ظهور الفوضى العارمة بالجزائر نتيجة نهاية النظام الذي كان باستطاعته تامين الاستقرار والأمن ، وهذا نتيجة عدة اعتبارات اجتماعية تولدت عنها روح الانتقام في ظل ما كانت تعيشه الفئات الاجتماعية الجزائرية من ظلم وتعسف النظام العثماني من جهة والقبائل المنفذة من جهة أخرى.

ومن بين اهم النتائج هو عدم نجاح المشروع الوحدوي في إطار المقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر في ظل ذلك التباين الطبقي الاجتماعي وهذا ما أدى إلى عدم انخراط كل القبائل إلى صفوف المقاومة الشعبية الوطنية ضد المشروع الاستعماري الفرنسي ، فالقبائل كانت تغذيها العصبية القبلية وروح الانتقام أكثر مما يهمها ذلك المشروع الوطني في صد الاستعمار وسياسته التوسعية.

ومن النتائج هو الدراسة الاجتماعية والانتروبولوجية من قبل مختصين وخبراء فرنسيين استطاعوا من معرفة التركيبة الاجتماعية والبشرية للمجتمع الجزائري واليات التحكم فيه من خلال السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه الاجتماعية.

وفي الأخير نستنتج أن الدراسة الاجتماعية للظاهرة التاريخية ذات أهمية بالغة في معرفة المجتمعات واليات التغير الاجتماعي وكيفية التفاعل الاجتماعي في معرفة نمط عيشه وكيفية تسييره وضبط قوانينه الاجتماعية.

المجتمع الإسلامي في مصر والمشرق العربي خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي/ (رؤية من خلال رحلة ناصر خسرو القبادياني)

الأستاذ الدكتور
عيسى محمود عسود العزام
جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية/كلية العلوم والآداب

الملخص

تعد كتب الرحالة من المصادر الرئيسة لدراسة أوضاع المجتمع الإسلامي، فالرحالة الفارسي ناصر خسرو قام برحلته في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى مصر ومعظم المشرق العربي، ووصف بدقة معظم المدن التي زارها من حيث عمارتها، وأسوارها، ومشاهدها المقدسة ، وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية، وعقائد سكانها ،وأوضاع القبائل ، وهذه الدراسة تعالج تلك الجوانب من خلال كتاب سفر نامة لناصر خسرو.

كلمات مفتاحية : ناصر خسرو ، القاهرة ، الحجاز ، بيت المقدس ،الأحساء

Abstract

The Islamic Community in Egypt and the Arab Mashriq during the Fifth A.H Century/ Eleventh B.C Century

A View through the Journey of Naser Khasro Al-Qabadiyani

The books of the traveler are considered some of the main resources to investigate the conditions of the Islamic community. The Persian traveler made his journey in the middle of the fifth A.H/the eleventh B.C to Egypt and most of the Arab Mashriq. With great accuracy, he described most of the cities he visited in terms of architecture, walls, sacred scenes, economic and social conditions, beliefs of the population, and conditions of the tribes. Thus, this study handles all these aspects on the basis of the book Safar Nameh for Naser Kharso.

Key Words: Naser Khasro, Cairo, Hijaz, Jerusalem, Al-Ahsa.

حياته:

ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزي الفارسي يعد من مشاهير الرحالة المسلمين خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد ولد في قبادیان من نواحي نهر البلخ سنة 394هـ/1003م ،وتوفي سنة 481هـ/1088م ، وينحدر من أسرة فارسية مشهورة بالجاه والثراء والنفوذ، وقد أتقن حفظ القرآن الكريم، وتعلم كثير من فنون الشعر والنثر العربي والفارسي[1] ودخل في خدمة السلاجقة

[1] ناصر خسرو، أبي معين الدين القبادياني المروزي (ت481هـ/1088م)، سفر نامة، رحلة ناصر خسرو

الغزنويون، وفي ذلك يقول: "كنت رجلاً من رجال الديوان، وأحد المسؤولين عن الأموال والأعمال السلطانية[1]، وفي منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي قام برحلته المشهورة التي استغرقت سبع سنوات (437هـ/1045 – 444هـ-1052م) ودون مشاهداته في كتابه اسماه سفر نامة، شملت معظم بلاد الشام ومصر والحجاز والبحرين وبلاد اليمامة والأحساء[2]، وبعض مدن العراق، وقد وصف بدقة مدينة القاهرة[3]، وعمارتها، وأسوارها، وأسواقها، كذلك وصف مدينة بيت المقدس، والمشاهد المقدسة فيها كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومدينة حلب، ومدينة البصرة، كذلك وصف بلاد الحجاز وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة، والمشاهد المقدسة فيها كالمسجد الحرام والكعبة المشرفة، وأبواب الحرم المكي، وباب الكعبة، وغيرهما، كذلك وصف وضع القبائل في بلاد البحرين[4] والأحساء.

والبلاد التي زارها ناصرخسرو كانت تخضع للعديد من القوى الإسلامية، فمصر والحجاز والشام كانت تحت سيادة الخلافة الفاطمية، أما العراق فقد كانت تخضع للخلافة العباسية، أما بلاد الأحساء فقد كانت تخضع للقرامطة[5]، أما بلاد اليمامة فكانت تخضع للشيعة الزيدية.

أوضاع المجتمع العمرانية:

وصف ناصر خسرو معظم المدن الإسلامية التي زارها وصفاً دقيقاً، ذلك الوصف الذي يبين أن هناك نظام دقيق لعمارة وتخطيط المدينة الإسلامية، فمعظم المدن التي زارها كانت تحاط بأسوار منيعة لحمايتها من أي عدو، ويتوسط المدن المسجد الجامع والأسواق العامة

القباديانى، ترجمة أحمد خالد البدني، جامعة الملك سعود، الرياض، 1983، ص 5- 24، مقدمة المحقق.

(1) المصدر نفسه، ص 25.

(2) الإحساء: مدينة في البحرين ، وهي مدينة عامرة، كان أول من عمرها وجعلها قصبة هجر أبو ظاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي، والبحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة (على الساحل الجنوبي للخليج العربي). أنظر: ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، 5 أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م، ج1، ص 111-112، 346-349.

(3) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص171.

(4) البحرين: إقليم يسمى باسم مدينته ويقال لها هجر باسم مدينة أخرى، وهذا الإقليم مسافة شهر على الخليج العربي بين البصرة وعُمان، شرقيها بحر فارس وغربيها متصل باليمامة، وشماليها البصرة، وجنوبيها عُمان. أنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت 808هـ/1405م) تاريخ ابن خلدون، 7 أجزاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ج4، ص92.

(5) القرامطة: هم فرقة من الشيعة الإسماعيلية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ونجحوا في تكوين دولة في البحرين. انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 97هـ/1200م) القرامطة، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1968، ص38-62.

والمتخصصة ،وبعض المدن والقرى كانت تقع على مرتفعات جبلية، لذلك كانت محصنة طبيعياً.

ونبدأ بوصف مدينة القاهرة المعزية[1] وسميت بالقاهرة لأن الجيش الفاطمي الذي قهر العباسيون نزل بها كما يذكر ناصر خسرو، وبخاصة أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (342هـ/953م – 365هـ/1975م) منع الجيش من دخول مدينة الفسطاط حتى لا يتعرضوا للسكان بالأذى[2]. فمدينة القاهرة حسب ما يذكر ناصر خسرو منازلها شديدة الارتفاع وهي بمثابة سور للمدينة بل أقوى وأشد مناعة من الأسوار لذلك لم تحاط المدينة بسور لحمايتها، ومنازل القاهرة كانت تتألف من عدة طوابق تتراوح بين خمسة وأربعة عشر طابقاً يعلو بعضها بعض[3]. وهي بمثابة قصور واسعة ونظيفة مشيدة من الطين اللبن "وقصور القاهرة نظيفة منسقة كما لو كانت مبنية من الجواهر ... وهي قصور متباعدة عن بعضها الآخر بشكل منفصل بحيث أن أشجار أي بيت لا تتدلى على البيت الآخر، فإذا أراد الإنسان هدم بيته وإعادة عمارته لم يسبب أذى لأي جار من جيرانه"[4].

وحجرات قصور القاهرة واسعة، بحيث أن بعض الحجرات كان اتساعها ثلاثون ذراعاً[5] في في ثلاثين ذراع، بحيث تتسع الغرفة الواحدة لثلاثمائة وخمسين شخص[6]، وبخاصة أن مدينة القاهرة كانت مدينة تجارية ومعبراً لتجارة الترانزيت القادمة من الهند إلى أوروبا، لذلك يقصدها التجار بأعداد ضخمة، فتلك الحجرات كان يتم تأجيرها للتجار، ويخزن في بعضها السلع التجارية.

وفي وسط مدينة القاهرة تم بناء قصر للخلافة الفاطمية، الذي اتخذ مقر لإدارة الدولة، وهذا القصر كان من المعالم البارزة في المدينة، وكانت مساحته واسعة، وشديد الارتفاع حتى أنه يبدو كجبل عظيم شامخ الشرفات[7]، وجعل حول القصر مساحة واسعة من الأرض لا يسمح لأي شخص البناء فيها[8]، وللخليفة قصر آخر خارج مدينة القاهرة، وكلا القصرين متصلين مع بعضهما البعض بنفق سري تحت الأرض[9].

والقاهرة تم بنائها كمقر للخلافة ومركز للجيش الفاطمي، لذلك تم تقسيمها إلى عشرة حارات، تم تخصيص كل حارة لفئة من الفئات

---

(1) القاهرة: تم تأسيسها سنة 358هـ من قبل قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله جوهر الصقلي (ت 381هـ/) واتخذت عاصمة الدولة الفاطمية. في القاهرة وخططها.

(2) ناصر خسرو، سفر نامة، ص94.

(3) المصدر نفسه، ص 96، 105.

(4) المصدر نفسه، ص97.

(5) الذراع: يبلغ في مصر 54,04سم بالضبط. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، 1970، ص83.

(6) ناصر خسرو، سفر نامة، ص105.

(7) لمزيد من المعلومات أنظر: المصدر نفسه، ص94 – 95.

(8) المصدر نفسه، ص94.

(9) المصدر نفسه، ص95.

التي يتألف منها الجيش الفاطمي، وهذه الحارات هي: حارة برجوان، وحارة زويلة، وحارة الجودرية، وحارة الأمراء، وحارة الديالمة، وحارة الروم، وحارة الباطلية، وحارة قصر الشوق، وحارة عبيد الشراء، وحارة المصامدة[1].

وفي مدينتي القاهرة ومصر خمسة عشر جامعاً يؤمها الناس لصلاة الجمعة، أشهرها الجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، وجامع الحاكم بأمر الله ،وجامع المعز لدين الله[2]. وكثير من الحمامات العامة والفنادق والدكاكين، فالخليفة يملك عشرين ألف دكان يتم تأجيرها للتجار بأجرة شهرية تتراوح بين دينارين وعشرة دنانير، كما يوجد في المدينة ثمانية آلاف منزل ملك للخليفة يتم تأجيرها للتجار[3]. كما يكثر في المدينة الحدائق الجميلة التي تتخلل المنازل، وتسقى من مياه الآبار، حتى أن بعض السكان أقام الحدائق الجميلة على أسطح المنازل[4]. وشرب السكان من مياه النيل، حيث يوجد في المدينة عدد كبير من السقائيين يجلبون الماء إلى المنازل بواسطة قرب المياه التي تحمل على ظهورهم لتأمينها للسكان الذين يقيمون في الأحياء الضيقة، أما في الأحياء المتسعة فيتم إيصال المياه بواسطة الجمال، حيث وجد خمسون ألف جمل لنقل الماء للسكان[5].

كذلك زار ناصر خسرو بعض المدن المصرية الأخرى مثل قوص، وعيذاب، وأخميم، فمدينة قوص بناء منازلها كان من الأحجار الكبيرة، أما مدينة أخميم فهي "شديدة الازدحام كثيرة العمران، وللمدينة سور حصين"[6]، أما مدينة عيذاب فتقع على ساحل البحر الأحمر، وبها مسجد جامع، وسكانها لا يزيدون عن خمسمائة شخص[7].

أما أشهر مدن الشام التي زارها الرحالة الفارسي فكانت مدينة حلب، وكانت منازلها مبنية من الحجارة وتتألف من عدة طوابق شامخة، ويحيط بها سور حصين من الحجارة ارتفاعه خمس وعشرون ذراع، وفيها قلعة عظيمة مبنية من الحجارة[8]، أما مدينة معرة النعمان فقد كانت كانت عامرة بالبناء، يتوسط المدينة المسجد الجامع، ويحيط بها سور حصين من الحجارة[9]. ثم زار مدينة طرابلس الشام التي تم بنائها في مواجهة بحر الروم (البحر المتوسط)، ولها أسوار منيعة، وشرفات وأبراج لرصد أي تحركات مشبوهة، ومعظم منازل المدينة تتألف من طوابق عدة تتراوح بين أربعة وستة طوابق، ويتوسط المدينة المسجد الجامع، وفي وسط ساحة المسجد "قبة عظيمة في داخلها حوض من المرمر وفي وسطه نافورة تخرج منها الماء، وللحوض حلقات

(1) المصدر نفسه، ص104.
(2) المصدر نفسه، ص97، 105.
(3) المصدر نفسه، ص94.
(4) المصدر نفسه، ص96.
(5) المصدر نفسه، ص96.
(6) المصدر نفسه، ص128.
(7) المصدر نفسه، ص131.
(8) المصدر نفسه، ص139.
(9) المصدر نفسه، ص40.

مموهة بالذهب"، وشوارع المدنية وأسواقها في غاية النظافة والنظام[1]، وتكثر في المدينة المساجد المساجد والأربطة، ولا يوجد أثر للعمارة خارج سور المدينة غير ثلاثة مشاهد للشيعة[2].

وقد وصف ناصر خسرو معظم مدن الشام الساحلية، وجميع تلك المدن كانت تحاط بأسوار منيعة من الحجارة والطين، وأسواقها في غاية النظام والنظام، وفيها كثير من الآثار التاريخية القديمة، ونبدأ بمدينة جبيل "وهي مدينة مثلثية بحيث أن ضلعها الرابع يقع في داخل بحر الروم ، ويحيط بالمدينة سور في غاية الارتفاع، وهو سور حصين جداً ، ويحيط بالمدينة نخل كثير[3]. أما مدينة بيروت، فكان يكثر بها الآثار التاريخية، وبخاصة الأعمدة المرمرية التي تتميز بأشكالها الهندسية ذات النقوش الجميلة، وكانت في غاية الصلابة والمتانة. وجنوب بيروت تقع مدينة صيدا التي كان يحيط بها سور عظيم محكم البناء، ويتوسط المدينة المسجد الجامع، وتشتهر المدينة بأسواقها وحدائقها الجميلة. أما مدينة صور، فقد كانت منازلها تتألف من طوابق عدة معظمها من خمسة وستة طوابق، وأسواق المدينة عامرة بالبضائع والتجارة الرائجة "ومدينة صور مشهورة بالمال والغنى في جميع مدن الشام"[4]،

(1) المصدر نفسه، ص43.

(2) المصدر نفسه، ص44.

(3) المصدر نفسه، ص44.

(4) المصدر نفسه، ص45.

والمدينة مربعة الشكل مساحتها ألف ذراع في ألف ذراع[5].

أما مدينة عكا فيؤكد ناصر خسرو أنها تقع على تلال مرتفعة، وطول المدينة ألف ذراع وعرضها خمسمائة ذراع يحيط بها سور في غاية الدقة والإحكام، وللمدينة ميناء تجاري ضخم، ويتوسط المدينة المسجد الجامع، وهو أعلى بناء في المدينة، وقرب المدينة كثير من المشاهد الأثرية القديمة[6]، كذلك كانت مدينتي حيفا وقيسارية تحاطان بأسوار منيعة، ولكل سور بوابات حديدية ضخمة ومحكمة[7].

كذلك زار ناصر خسرو مدينة بيت المقدس، فوصفها ومشاهدها المقدسة، فيذكر أن غالبية مدينة بيت المقدس وقراها جبلية، فالقدس مدينة عظيمة مساكنها عالية وأسواقها في غاية النظافة والنظام، ولها سور عظيم ،وتكثر في المدينة آبار لتجميع مياه الأمطار لتكون ذخيرة لشرب السكان، وشوارع المدينة مبلطة بصفائح حجرية[8]، ومن أبرز المعالمالعمرانية المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، المسجد الأقصى يقع في الجانب الشرقي من المدينة، وطوله سبعمائة وأربعة أمتار (الخراساني)[9]، وعرضة

(5) المصدر نفسه، ص45.

(6) لمزيد من المعلومات عن عكا وآثارها التاريخية أنظر: المصدر نفسه، ص46-49.

(7) المصدر نفسه، ص51.

(8) المصدر نفسه، ص54.

(9) المتر: وحدة قياس المساحة و في الغالب يتم استخدامه في معرفة مساحة قطعة مسطحة.

مائة وخمس وخمسين متر، وأرضه مفروشة بالحجارة بمنتهى الدقة والإتقان، وباب المسجد عظيم يبلغ ارتفاعه ثلاثون ذراع، وعرضه عشرون ذراع، وتكثر النقوش ذات الألوان المتعددة في الباب، وللمسجد ثلاثة أبواب أخرى هي: باب داود، وباب الأسباط، وباب الأبواب[1]. وللمسجد أروقة متعددة، وعدد كبير من الأعمدة المرمرية، وله قبة ضخمة آية في الفن الهندسي المعماري، مكونة من شرائح حجرية ضخمة تحفها النقوش الجميلة، ويحيط بالقبة عشرة أبواب، وللأبواب حلقات حديدية محكمة الصنعة[2]. وللمسجد محراب بالغ السعة ذي النقوش المتقنة، وسقف المسجد مغلف بالخشب الثمين، المزين بالنقوش، ويوجد تحت المسجد عدد كبير من الآبار لتجميع مياه الأمطار التي تكفي لسكان المدينة[3]. وفي منتصف الحائط الجنوبي للمسجد مقصورة ضخمة محمولة على ستة عشر عموداً، تعلوها قبة كبيرة منقوشة باللون الأزرق، وقد تم فرش أرض المقصورة بالبسط المغربية الثمينة، وبها قناديل ومصابيح كثيرة تتدلى من السقف بسلاسل متينة[4].

أما قبة الصخرة فهي بناء مثمن الأضلاع، مساحة كل ضع ثلاث وثلاثون أرش[5]، وللقبة أربعة أبواب، ويحيط بجدران القبة حوائط حجرية، وتبعد الصخرة عن جدران المسجد بمسافة مائة شبر[6]، والصخرة لونها أزرق، ولا تزيد على طول رجل طويل إلا بقليل، وتم تخليفها بالرخام، وليس للصخرة شكل هندسي معين، بل شكل متناسب الأجزاء كأي صخرة، ويحيط بها أساطير مربعة الشكل ترتفع محاذية بجدار القبة، وجميع أسطح وسقف المسجد مطلية بالرصاص لوقايتها من مياه الأمطار، وتم تزيين سقف المسجد بنقوش خشبية محفورة في غاية الدقة والجمال[7]، وهناك عدد كبير من الأعمدة، وأرض المسجد مفروشة بأجود أنواع البسط الحريرية، وهنالك الكثير من القناديل والمصابيح التي تنحدر بسلاسل فضية معلقة بسقف المسجد[8].

وفي الحرم القدسي الشريف هناك بعض المشاهد المقدسة الأخرى كقبة السلسلة التي تحملها ثمانية أعمدة مرمرية، وستة أساطين حجرية، ولها محراب في غاية الجمال، وهناك قبة جبريل عليه السلام التي تقوم على أربعة أعمدة رخامية، وأرضها مفروشة بالحجارة، كذلك هناك

---

(1) لمزيد من المعلومات عن المسجد وأبوابه أنظر: المصدر نفسه، ص57-61.

(2) المصدر نفسه، ص57-61.

(3) لمزيد من المعلومات عن المحراب أنظر: المصدر نفسه، ص62-63.

(4) المصدر نفسه، ص61.

(5) الأرش: اسم الذراع باللغة الفارسية، والأرش الواحد يساوي 64سم، هنتس، المكاييل، ص81.

(6) الشبر: *لشِبْرُ ما* بين طَرَفي الخِنْصَرِ والإبهام بالتفريج المُعتاد (مذكَّر).

(7) لمزيد من المعلومات أنظر: ناصر خسرو، سفر نامة، ص67-69.

(8) المصدر نفسه، ص68.

قبة الرسول عليه السلام التي تقوم على أربعة أعمدة مرمرية[1].

كذلك زار ناصر خسرو بلاد الحجاز للحج أربع مرات في الفترة الواقعة بين سنتي (439هـ/1047م – 442هـ/1050م) وقد وصف بدقة مشاهداته، فيذكر أن مدينة جدة كبيرة المساحة تقع على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) ولها سور حصين، وأسواقها نظيفة وعدد سكانها حوالي خمسة آلاف نسمة، ولا يوجد عمران خارج السور إلا مسجد يعرف بمسجد الرسول عليه السلام، وجدة لا يوجد بها زراعة[2].

أما مكة المكرمة فتقع في وادٍ تحيط بها الجمال من كل جانب، ويقع المسجد الحرام في وسط المدينة، والكعبة المشرفة تتوسط المسجد، وجدرانه ليست سواء في الاستقامة، ويبلغ طول المسجد أربعمائة وأربعة وعشرون ذراع، أما عرض المسجد من باب الندوة شمالاً إلى باب الصفا جنوباً ثلاثمائة ذراع في مكان، وأربعمائة ذراع في مكان آخر، وذلك لأن مساحة المسجد ليست واحدة، ويتوسط المسجد أربعة مقامات، وفي المسجد مائة وأربعة وثمانون عمود[3]، وللمسجد ثمانية عشر باب، ويعلو كل باب إيوان مغلق، وأقيمت تلك الأبواب على أعمدة من المرمر[4].

والكعبة المشرفة تتوسط المسجد الحرام "وهي بناء مربع إلى الاستطالة أقرب" وارتفاع الكعبة ثلاثون ذراع، وعرضها ستة عشر ذراع، وباب الكعبة يقع في الجهة الشرقية، ويرتفع عن الأرض أربعة أذرع وهو مصنوع من خشب الساج، وارتفاعه ستة أذرع ونصف، وزين الباب بآيات قرآنية مكتوبة بالفضة المذهبة، وتتخلل الكتابة تحاريق سوداء، ويقع الحجر الأسود في الزاوية الجنوبية الشرقية من الكعبة، والحجر يتكون من فئات من الحجارة السوداء، وطوله قدر طول اليد ممدودة مضافاً إليها أربعة أصابع، وعرضه ثمانية أصابع، وشكله مدور، والمسافة بين الحجر وباب الكعبة أربعة أذرع[5]، وأرض الكعبة مفروشة بالمرمر الأبيض، وسمك جدار الكعبة ستة أشبار مغطاة بالمرمر المتعدد الألوان[6]، وسطح الكعبة مغطى بالخشب الثمين المبطن بالحرير، وللكعبة أربعة مساقط للضوء، وكل مسقط مغطى بغطاء زجاجي يسمح بمرور ضوء الشمس ويمنع تسرب مياه الأمطار إلى جوف الكعبة[7]، وفي شرق الكعبة الكعبة يقع مقام إبراهيم عليه السلام، وبئر زمزم[8].

كذلك زار ناصر خسرو بعض مدن الحجاز وشبه الجزيرة العربية ومنها الطائف التي تقع شرق مكة المكرمة على تلال جبلية مرتفعة،

---

(1) لمزيد من المعلومات، المصدر نفسه، ص69-70.

(2) المصدر نفسه، ص135.

(3) المصدر نفسه، ص145.

(4) لمزيد من المعلومات عن المسجد الحرام وأبوابه أنظر: المصدر نفسه، ص145-148.

(5) المصدر نفسه، ص148.

(6) المصدر نفسه، ص149.

(7) المصدر نفسه، ص150.

(8) المصدر نفسه، ص151-152.

ولها سور محكم، وجامع متوسط الحجم[1]، كذلك مدينة اليمامة لها سور عظيم حصين، ومسجد كبير، وسوق فيه كل أنواع الصنائع[2].

أما أكثر المدن حصانة في شبه الجزيرة العربية مدينة الإحساء التي كانت مقر للقرامطة، وتحيط بها أربعة أسوار محكمة مبنية من اللبن الشديد الإحكام، وكل سور يحيط بالآخر في شبه دائرة كاملة، والمسافة بين السور والآخر قرابة فرسخ[3]، والمدينة تتوسط هذه الأسوار الأربعة، "ويوجد لها من الإمكانيات كل ما يراه المرء في كبريات المدن" وجيش ضخم للدفاع عنها يبلغ تعداده قرابة عشرين ألف جندي، وتضم المدينة المزارع الكبيرة[4].

وشرق مدينة الإحساء على مسافة سبع فراسخ تقع جزيرة البحرين وسط الخليج العربي، ومساحتها خمسة عشر فرسخ، وهي مدينة عامرة كبيرة[5].

أما بالنسبة للعراق فناصر خسرو زار مدينة البصرة سنة 443هـ/ 1051م التي تقع على الخليج، ويحيط بها سور من جهاتها الثلاث باستثناء الجهة المطلة على الخليج، وعدد سكان البصرة كبير، لكن أكثر المدينة خراب ،لكن السور لا أثر للخراب فيه، ولم يذكر ناصر خسرو أسباب خراب كثير من محلات مدينة البصرة[6].

نلاحظ من خلال وصف ناصر خسرو لمعظم المدن التي زارها وبخاصة مصر والشام، أن تلك المدن كانت تحاط بأسوار منيعة، وتتألف من عدة طوابق وبخاصة مدن الساحل الشامي، وحلب، والقاهرة، تلك المدن التي كانت مراكز للتجارة العالمية بين الشرق والغرب، لذلك تميزت بالرخاء الاقتصادي ، وانعكس ذلك على عمارة تلك المدن، ورفاهية سكانها.

أوضاع المجتمع الاقتصادية:

شهدت مصر والمشرق العربي نوع من الرخاء والازدهار الاقتصادي خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وبخاصة أن تلك البلاد كانت من مراكز التجارة العالمية بين الشرق والغرب، ويستدل ذلك من خلال ازدهار العمارة، والنشاط التجاري في الأسواق، وازدهار الزراعة، والصناعة حسب ما يتبين لنا من خلال رحلة ناصر خسرو.

ونبدأ الحديث عن الأحوال الاقتصادية بالأسواق التي كانت تمثل المراكز الحيوية للنشاط الاقتصادي والاجتماعي، وكانت الأسواق في المدن الإسلامية تقام في وسط المدن بجوار المساجد الجامعة، وكانت المدن بصورة عامة أسواق لما

---

(1) المصدر نفسه، ص161-162.

(2) المصدر نفسه، ص167.

(3) الفرسخ: يبلغ الآن حوالي 6كم، هنتس، المكاييل، ص94.

(4) ناصر خسرو، سفر نامة، ص168.

(5) المصدر نفسه، ص177.

(6) المصدر نفسه، ص178.

يحيط بها من القرى والأرياف، فهي مخازن لإنتاجها ومراكز تبيع لها ما تحتاج إليه من مواد[1].

واشتهرت المدن في مصر والمشرق العربي بكثرة أسواقها العامة والمتخصصة، وبنشاط الفعاليات التجارية فيها، وبدقة نظافتها ونظامها، والأسواق بشكل عام كانت مسقوفة وأرضها مفروشة بالحجارة، وتصطف حوانيت التجار على جانبي الشوارع في السوق، وبعض الأسواق كانت توجد بها مساجد، حتى يتمكن التجار ورواد الأسواق من أداء الصلاة في أوقاتها.

ونبدأ الحديث عن الأسواق بوصف أسواق مصر كما شاهدها ناصر خسرو، فمدينة تنيس[2] كانت شديدة الازدحام بالتجار، وكثيرة الأسواق بالعامة والمتخصصة، ففي المدينة عشرة آلاف دكان منها مائة دكان متخصصة في بيع العقاقير الطبية وبخاصة شراب الشعير المطبوخ الذي يزداد الإقبال عليه في فصل الصيف لشدة الحرارة[3]، والدليل على حجم النشاط التجاري في المدينة أن الضرائب المفروضة على التجار والتي يتم جبايتها يومياً تبلغ ألف دينار ذهب، ويتم تحصيل هذا المبلغ من موظفي الدولة دون عنف[4].

أما مدينتي القاهرة ومصر فقد كانتا عامرتا بالأسواق، ففي القاهرة يملك الخليفة الفاطمي عشرين ألف دكان، مؤجرة للتجار، وأجرة الدكان تتراوح بين دينارين وعشرة دنانير ذهب[5]، وفي مدينة القاهرة ومصر هناك مجمعات تجارية ضخمة ففي مصر مجمع يقال له دار الوزير متخصص في بيع قصب السكر، وفي بعض الدكاكين في الدور الأرضي دكاكين لحياكة المنسوجات، ويوجد في القاهرة أسواق تجارية ضخمة تفوق دار الوزير، ويبلغ عددها نحو مائتي سوق تجاري متخصصة بنمط معين من السلع[6]، السلع[6]، وبعض الدكاكين كانت تقام في شوارع ضيقة، لذلك كان في تلك الشوارع قناديل مشتعلة بشكل دائم ليلاً ونهاراً لأن ضوء الشمس لا يصل إليها[7]، وتخضع تلك الأسواق لإشراف دقيق من قبل الدولة، فالمحتسب يشرف عليها بدقة تامة، ويحدد أسعار السلع[8] والدولة اهتمت بالأمن والنظام، وفي ذلك يقول ناصر خسرو، "وقد بلغ الأمن وفراغ بال المصريين من وساوس اللصوص حدا حمل البزازين والصيارفة على ترك دكاكينهم مفتوحة ،وكانوا يكتفون بوضع غطاء خفيف على أماكنهم أثناء انصرافهم للصلاة أو لقضاء الحاجة، ومع ذلك لا تمتد يد إلى بضائعهم"، ويقول في مكان آخر: "ويحدث هذا نتيجة الأمن

---

(1) المعايطة، زريف، الأسواق في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، 1990م، ص1.

(2) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص51-52.

(3) ناصر خسرو، سفر نامة، ص83.

(4) المصدر نفسه، ص85.

(5) المصدر نفسه، ص94.

(6) المصدر نفسه، ص112.

(7) المصدر نفسه، ص105.

(8) المصدر نفسه، ص109-110.

والأمان والعدل"[1]، لذلك يشتهر الباعة في مصر بالصدق في المعاملات، نظراً للعقوبة الشديدة التي كان يفرضها المحتسب على كل من يغش في السلع أو يبخس في الموازين[2].

ويذكر ناصر خسرو أن التجار في مصر يوفرون للمشتري الأوعية المطلوبة للبضاعة المباعة، أما وسيلة النقل التي كان يستعملها التجار فهي الحمير الفارهة الرهواء، يتم تأجيرها من قبل المكارين، ففي مدينة مصر وحدها يؤجر المكارين للتجار في اليوم الواحد خمسين ألف حمار تستخدم للتنقل في الزقاق والمنعطفات، ويذكر خسرو أن التجار يستخدموا الحمير للتنقل لأنه في مصر لا يسمح لغير الجنود بامتطاء الجياد[3].

وبشكل عام كانت التجارة مزدهرة في مصر، وفي ذلك يقول ناصر خسرو: "وتجار مصر في غاية الغنى، ... ولقد رأيت في مصر والقاهرة من ألوان غنى الأغنياء مالو بسطته لما صدقة الأعاجم من أهل فارس ولظنوا بي الظنون .... وثروة أهل مصر لا تقع تحت الحصر، والرفاهية التي ر أيتها بين المصريين لم أر مثلها أو قريباً منها في أي مكان في العالم، فأحد التجار كان يملك أسطولاً من السفن تجول في البحار، وتصب الأموال في خزائنه، بحيث لديه من الغلال ما يكفي سكان مدينة مصر ستة أعوام ولا يعلم أحد حدود ثروته[4].

أما مدينة عيذاب فقد كانت من مراكز جمع الضرائب للخلافة الفاطمية، وأسواقها مزدهرة، ويقصد مينائها السفن القادمة من الهند واليمن والحبشة، حيث يتم تفريع البضائع فيها ثم تنقل بواسطة الجمال إلى مدينة أسواق ثم عبر نهر النيل إلى القاهرة[5].

كذلك تحدث ناصر خسرو عن أسواق الشام، فمدينة حلب كانت تشتهر بأسواقها الحسنة العامه والمتخصصة، ويقصدها التجار من مختلف أنحاء العالم وبخاصة من بلاد الروم ومصر والعراق، وكانت مركز من مراكز جمع الضرائب للخلافة الفاطمية[6]، وأسواق المدينة زاخرة بالبضائع[7].

أما مدن الساحل الشامي فكانت أسواقها في غاية النظافة والنظام، وفيها كل أنواع السلع والطعام والفواكه والمشروبات، فمدينة طرابلس الشام كانت أسواقها زاخرة بالبضائع، وكانت من مراكز جمع الضرائب التجارية للخلافة الفاطمية، حيث تقصدها السفن من بلاد الروم وأوروبا والمغرب والأندلس "وكلها تدفع العشر لسلطان مصر، الذي يملك أيضاً عدد كبير من السفن التجارية لتنقل البضائع[8]،كذلك كانت أسواق

(1) المصدر نفسه، ص112.
(2) المصدر نفسه، ص109-110.
(3) المصدر نفسه، ص110.
(4) المصدر نفسه، ص111.
(5) المصدر نفسه، ص131.
(6) المصدر نفسه، ص39.
(7) المصدر نفسه، ص40.
(8) المصدر نفسه، ص43-44.

مدينتي صيدا وصور في غاية النظافة والنظام، عامرتا بالبضائع الوفيرة الرائجة "ومدينة صور مشهورة بالمال والغنى في جميع مدن الشام الساحلية"[1]، وكان هناك موانئ لكل مدن الساحل الشامي لاستقبال السفن التجارية[2].

كذلك اشتهرت مدن الرملة وطبرية ونابلس وبيت المقدس بأسواقها العظيمة المتخصصة، ففي بيت المقدس عدد كبير من التجار وكبار الملاك يملك بعضهم خمسين ألف رطل من زيت الزيتون يخزنونها في الآبار وتباع إلى كل أطراف المعمورة[3].

كذلك وصف ناصر خسرو أسواق مدن الحجاز والجزيرة العربية والبصرة، فمدينة جدة كانت حافلة بأسواقها العامرة، وهي مركز من مراكز جمع الضرائب في الدولة الفاطمية[4]، أما مدينة مكة المكرمة فأسواقها عامرة، فالمسجد الحرام تحيط به أسواق كثيرة ودروب ضيقة تزدحم بالمتاجر[5]. ويقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام سوق كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب، وتكثر الدكاكين عند الصفا والمروة، منها عشرين دكان مختص بالحلاقة لقص وتقصير شعر الحجاج والمعتمرين، وهناك سوق للعطارين في غاية الجمال مخصص لبيع الأدوية والعقاقير الطبية والحشائش[6]، وهناك أسواق للخضار والفواكه[7].

أما في مدينة اليمامة[8] هناك سوق في كل أنواع الصناع[9]، وفي مدينة البصرة ثلاثة أسواق عامرة بالبضائع، ففي أول النهار يكون البيع والشراء في سوق خزاعة، وفي وسط النهار في سوق عثمان، وفي نهاية النهار ينتقل السوق إلى سوق يسمى القداحين، وتتم عملية البيع والشراء في البصرة عن طريق الصرافين فقط، فإذا أراد شخص شراء سلعة يدفع النقود إلى الصراف فيعطيهم إيصال بذلك، يستطيع بموجبه شراء ما يريد، ولا يستطيع أي شخص شراء السلع من أسواق البصرة إلا عن طريق إيصالات الصرافين[10].

كذلك استخدمت الصكوك كوسيلة لدفع الأموال في المعاملات التجارية، وبواسطتها يدفع مبلغ من النقود إلى الشخص المسمى فيه[11]، وقد ساهم الصيارفة في تسهيل المعاملات التجارية بين التجار، وبخاصة أن التعامل بالنقود يواجه بعض الأخطار من ناحية نقلها من مكان إلى آخر.

من ناحية أخرى تحدث ناصر خسرو عن ازدهار بعض الصناعات وبخاصة في مصر وبلاد

---

(1) المصدر نفسه، ص45.

(2) المصدر نفسه، ص46.

(3) المصدر نفسه، ص53.

(4) المصدر نفسه، ص135.

(5) المصدر نفسه، ص137.

(6) المصدر نفسه، ص139.

(7) المصدر نفسه، ص141.

(8) اليمامة: هي معدودة من نجد وقاعدتها حجر. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص241-242.

(9) ناصر خسرو، سفر نامة، ص167.

(10) المصدر نفسه، ص178.

(11) المصدر نفسه، ص133-134.

الشام، فمدينة تنيس المصرية كانت بمثابة مدينة صناعية في وقتنا المعاصر، فقد اشتهرت بنسيج العمائم من القصب، والعصائب التي تستعملها النساء ذات الألوان البهيجة[1]، وبعض العمائم سعرها ألفي دينار ذهب، وبخاصة أن تنيس تشتهر بحذاق النساجين الذين ينسجون نسيج يعرف بالطاووس لا مثيل له في العالم "وهو نسيج تتخلله[2] خيوط ذهبية تتلون خلال النهار ... بألوان مختلفة زاهية، وفي المدينة دور خاصة بالنسيج للدولة الفاطمية تنسج العمائم والعصائب، والآلات الخاصة بزينة الجمال والحمير والخيول السلطانية، والغالب في تلك المنسوجات الخيوط المستعملة في النسيج الطاووسي، وتتحمل الدولة كامل نفقات تلك الدور، كذلك في المدينة حرف حديدية كثيرة كالمقصات والسكاكين والآلات الزراعية[3]، وتصدر وتصدر تنيس منسوجاتها إلى أوروبا وبلاد الروم بواسطة السفن التجارية[4].

كذلك تشتهر مدينة دمياط[5] بصناعة العمائم البيضاء[6]. أما مدينة أسيوط[7] فكانت تصنع العمائم من صوف الغنم "وهي عمائم جيدة لم أر مثلها في العالم، والأصواف الناعمة التي يفاخرون بها في الولايات العجمية ويسمونها المصري كلها من صعيد مصر الأعلى[8]، كذلك اشتهرت مصر بصناعة الخزف البالغ الشفافية والرقة، وصناعة قرب الماء التي يتسع بعضها إلى ثلاثين لتر[9] من الماء[10]. وصناعة السفن، وبخاصة السفن التجارية، وأن بعض السفن كانت تستطيع حمل مائتي طن[11] من المواد الغذائية[12]. أما طبرية فكانت تصنع نوع من السجاد الفاخر المنسوج من الحصير، ويبلغ ثمن السجادة الواحدة خمسة دنانير ذهب[13].أما طرابلس الشام فكانت تصنع الورق الفاخر[14].

كذلك اشتهرت مصر وبلاد الشام والعراق بزراعة مختلف المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة، وتحدث ناصر خسرو خاصة عن الزراعة

---

(1) المصدر نفسه، ص83.

(2) المصدر نفسه، ص84.

(3) المصدر نفسه، ص85.

(4) المصدر نفسه، ص86.

(5) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر بين بحر الروم والنيل. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص472-473.

(6) ناصر خسرو، سفر نامة، ص83.

(7) أسيوط: مدينة غربي النيل من نواحي صعيد مصر، وهمع مدينة جليلة كبيرة. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص193-194.

(8) ناصر خسرو، سفر نامة، ص127.

(9) اللتر: أحد وحدات قياس الحجم. 1 لتر يعادل حجم مكعب طول ضلعه 10 سنتيمتر. من الإغريقية: مقياس قديم كان يساوي 12 أونصة أي ما يقارب 1000 مليلتر حاليًا.

(10) ناصر خسرو، سفر نامة، ص108-109.

(11) الطن: هو وحدة قياس، أي ما يعادل 1,000 كيلوغرام.

(12) ناصر خسرو، سفر نامة، ص96.

(13) المصدر نفسه، ص49.

(14) المصدر نفسه، ص43.

في مصر التي كانت منظمة، فيزرع فيها كل أنواع الثمار والأشجار "فإن مصر بلد واسع فيه كل الأجواء والمناخات تتراوح بين الطقس البارد والطقس الحار"[1]، ونظام الري والصرف على حوض نهر النيل في غاية الدقة، فقد كانت قنوات المياه تمتد على جانبي النيل، وتنتهي القنوات بأحواض صغيرة تستقر فيها المياه، وهناك كثير من الدواليب المخصصة لرفع الماء إلى الأراضي الزراعية، كذلك كان هناك الكثير من السدود الترابية للحيلولة دون غرق القرى والمدن أيام فيضان النيل، وينفق على السدود عشرة آلاف دينار ذهب من خزائن الدولة[2]، والقاعدة في فيضان النيل أن المياه تزيد خلال أربعين يوماً وفي نهاية المدة تصل المياه إلى أقصى مداها، وتظل المياه أربعين يوم ثم تأخذ في الانخفاض التدريجي وتستغرق أربعين يوم ثالثة، وبعد انحسار المياه يبدأ الفلاحون بزراعة الأرض زراعات صيفية وشتوية[3]، والحد الأدنى للزراعة في مصر أن يزيد مد النيل عن ستة عشر ذراع.

كذلك اشتهرت الشام بالزراعة فمدينة طرابلس الشام كانت تحيط بها مختلف المزارع والبساتين والأشجار وبخاصة قصب السكر والنارنج والأترج والموز والليمون والنخيل[4]. وحلب وحلب وقراها كانت مشهورة بالحنطة، وأشجار التين والزيتون والفستق والعنب[5]. ومدن الساحل الشامي مشهورة بزراعة مختلف المحاصيل والأشجار المثمرة. أما بيت المقدس وغيرها فتشتهر بزراعة الزيتون والفواكه[6]. أما مدن الحجاز وبخاصة جدة ومكة المكرمة فالزراعة ضعيفة باستثناء النخيل[7].

التوزيع المذهبي:

على الرغم من سيطرة الخلافة الفاطمية على مصر وبلاد الشام والحجاز، إلا أن المذهب الشيعي لم ينتشر إلا في بعض المدن، وغالبية السكان حافظوا على مذهب أهل السنة والجماعة، باستثناء بعض المدن ،فسكان طرابلس الشام كما يؤكد ناصر خسرو جميعهم كان على المذهب الشيعي الإسماعيلي وهو مذهب الدولة الفاطمية، لذلك اهتم السكان في إقامة المساجد والأربطة في المدينة، وأقاموا خارج أسوار المدينة ثلاث مشاهد لهم[8]، أما مدينة صور فأغلب سكانها على المذهب الشيعي، وأقام الشيعة مشهد أمام مدخل المدينة وزينوه بالأثاث بالفاخر والسرج الذهبية والفضية[9]،كذلك كان سكان طبريا على المذهب الشيعي[10].

---

(1) المصدر نفسه، ص108-126.

(2) المصدر نفسه، ص88.

(3) المصدر نفسه، ص89.

(4) المصدر نفسه، ص43.

(5) المصدر نفسه، ص40.

(6) المصدر نفسه، ص53.

(7) المصدر نفسه، ص135.

(8) ناصر خسرو، سفر نامة، ص44.

(9) المصدر نفسه، ص45.

(10) المصدر نفسه، ص50.

وسكان بلاد اليمامة[1] كانوا شيعة زيدية، وحكام المدينة كما يذكر ناصر خسرو من العلويين، وهم مستقلين عن الخلافتين العباسية والفاطمية، وهم يقولون في الآذان: "محمد وعلي خير البشر وحي على خير العمل"[2].

أما بلاد الإحساء فكان سكانها على مذهب الشيعة القرامطة، وهم مستقلون أيضاً عن العباسيين والفاطميين، ويزعم حكام المدينة أنهم من الأشراف من نسل "أبو سعيد"، وسكان المنطقة لا يصلون ولا يصومون على الرغم من اعترافهم برسالة ونبوة الرسول محمد عليه السلام، لأن حاكم المدينة "أبوسعيد" قد منع الناس من تأدية شرائع الإسلام، "وقال لهم قد رفعت عنكم الصلاة والصيام وأخبرهم أن لا مرجع لهم في أمور الدين غيره..."[3]، ولا يوجد في الأحساء مسجد لصلاة الجمعة ، فإنهم لا يصلون ولا يخطبون في أيام الجمع[4]، ولكنهم لا يمنعون أحداً من المسافرين أو التجار من تأدية الصلاة، ويوجد في المدينة مسجد واحد فقط بناه رجل فارسي يرتاده التجار والحجاج الذين يمرون بالأحساء، ويؤكد ناصر خسرو أن تقاليد السكان بعيدة عن الإسلام، فهم يأكلون لحوم كل الحيوانات بما فيها الكلاب والحمير والقطط، بل يسمنون تلك الحيوانات ويأكلونها[5].

القبائل في بلاد الحجاز واليمامة والأحساء:

تحدث ناصر خسرو عن نمط معيشة القبائل في صحراء الجزيرة العربية على امتداد الطريق المؤدي من الطائف إلى بلاد الأحساء والبحرين، فيؤكد أن البغضاء والحروب هي السمة البارزة للعلاقات بين القبائل، كما أن بعض القبائل تعتمد على السلب والنهب في نمط معيشتها ، وأخرى تعتمد على تربية الماشية والرعي، وأن الأمية المطلقة هي السمة البارزة للسكان، فالكتاب والعلم لا قيمة له، وكثير من الأعراب يعتمدون على نقل البضائع والمسافرين وتأمين الطرق لهم مقابل المال، لذلك سلوك الطرق كان في غاية الخطورة، وتأجير الجمال للتجار أو التنقل بغية المال، أما الزراعة فكانت نادرة جدا في تلك البلاد. فيذكر ناصر خسرو أن القبائل على بعد خمسة عشر فرسخ من الطائف في المنطقة المؤدية إلى الأحساء قد قسموا الحدود والمراعي بينهم، وقد عرفت كل قبيلة حدود أراضيها ومراعيها، ولا يستطيع أي أحد المرور بأرض تلك القبائل إلا بدفع الخفارة (مبلغ من المال) لكل منها مقابل المرور بأراضيها، وإلا تعرض للنهب والقتل "وكل غريب صيد في هذه البوادي"[6].

والوضع الاقتصادي لتلك القبائل في غاية القسوة، ولقد علمت أن بعض أفراد هذه القبائل قد يعيش سبعين سنة وهو لا يعرف من الطعام إلا لحوم الإبل، فهذه البوادي لا شيء بها سوى هذه الأعلاف الهزيلة التي تتغذى عليها الإبل

---

(1) بلاد اليمامة: هي بلاد نجد.

(2) ناصر خسرو، سفر نامة، ص167.

(3) المصدر نفسه، ص167-168.

(4) المصدر نفسه، ص170.

(5) المصدر نفسه، ص171.

(6) المصدر نفسه، ص163.

لتصبح الإبل بدورها غذاء لهؤلاء الأعراب، وهم يظنون أن العالم كله على هذه الهيئة التي هم عليها[1].

والبوادي بشكل عام والمرور بها في غاية الخطورة، فهي موحشة، يقول ناصر خسرو: "وقد مكثنا أياما ننتقل من يد خفير قبيلة عربية ليد خفير آخر، كأننا سلع وقد كان الخطر يكمن في كل خطوة خطوناها فهذه البوادي الموحشة.. ثم عبرنا ذلك المكان العجيب"[2].

ثم تحدث ناصر خسرو عن واحدة كبرى في قلب الصحراء العربية تعرف بالأفلاج[3] كانت أشبه بالأطلال لأن العصبيات القبلية قد خربتها، ولم يبق عامراً في هذه الواحة الكبيرة إلا مساحة صغيرة جداً قدر نصف فرسخ في ميل[4] واحد، وفيها أربعة عشر حصناً، وفي كل حصن منها يوجد مجموعة من الرجال مهنتهم السلب والنهب، وقد عاثوا في الأرض فساداً، ويضمر سكان تلك الحصون العداوة والبغضاء لبعضهم البعض"[5].

وسكان واحة الأفلاج في غاية الفقر والجوع والمسكنة والعرى، وتشيع بينهم الأمية، ومع ذلك فالعداء والحروب مستحكمة بينهم، ولا يخرج الرجل منهم إلى المسجد إلا ومعه سيفه ورمحه، أما عن نمط معيشتهم فيؤكد ناصر خسرو أن مياه الشرب للسكان كان من العيون والآبار، ولكن المياه بشكل عام شحيحة في الواحة، ويقومون بتربية الجمال فقط، ويزرعون أشجار النخيل، والقليل من القمح يصنعون منه الخبز يتناولونه ليلاً لندرته، وفي النهار يأكلون تمرات قليلة، وكأنهم صائمو الدهر" فالفقر والجوع يعم الواحة[6]، وبعض سكان الواحة يعمل في التجارة وبخاصة تجارة الجلود القادمة من اليمن الذين يبيعونها بدورهم إلى تجار اليمامة الذين يتولون نقلها إلى الإحساء[7].

والمياه في بادية العرب بشكل عام شحيحة ونادرة، وفي ذلك يقول ناصر خسرو: "ورأيت بعض الأعراب في بادية العرب لا يعرفون الماء، فهم يشربون ألبان الإبل ويغتسلون بأبوالها، وكل ما سألت عن ماء أجابوني إذا رأيت ماء فدلنا عليه، بعضهم لم يرى الحمام في حياته ولم يشاهد الماء الجاري"[8] لندرة الأمطار في الصحراء.

أما وضع السكان في بلاد الأحساء فكان في غاية الرفاهية نظرا للإدارة الناجحة للمدينة من قبل خلفاء أبو سعيد، وحرصهم على العدل والإنصاف في الرعية، فيذكر ناصر خسرو أن حاكم الأحساء أبو سعيد قد أوصى خلفاءه وهم أبنائه بأن يتكون مجلس للحكم لإدارة المدينة، كما أوصاهم بحسن معاملة السكان، والتشاور في

---

(1) المصدر نفسه، ص163-164.

(2) المصدر نفسه، ص164.

(3) الأفلاج: تقع في بلاد اليمامة. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص232.

(4) الميل: يساوي الآن 2كم2. هنتس، المكاييل، ص95.

(5) ناصر خسرو، سفر نامة، ص165.

(6) المصدر نفسه، ص165-166.

(7) المصدر نفسه، ص166-167.

(8) المصدر نفسه، ص175.

شؤون الناس وإنصافهم، لذلك كان حكام المدينة إذا تعرض أحد السكان للفقر "يتعهدونه حتى تنصلح حاله ويقضى دينه" وإذا خربت مزرعة أحد الرعية يتولى البوسعيديون في إصلاحها مجانا، ويقدمون القروض للغرباء، لذلك ازدهرت الحياة الاقتصادية في بلاد الإحساء، وكان للأسرة الحاكمة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية يتولى الجيش زراعتها، كذلك ازدهرت زراعة الحبوب، وكانت الأسرة الحاكمة لا تأخذ أية ضرائب من السكان فلا يوجد عشر على الغلات الزراعية، ويوجد في المدينة مطاحن للدقيق يملكها البوسعيديون، تتولى طحن غلال السكان دون ثمن[1]، والعملة المتداولة في الأحساء هي الرصاص، ولا يسمح بتداول هذه العملة خارج الأحساء[2].

النتائج

يتبين من دراسة المجتمع الإسلامي في مصر والمشرق العربي ما يلي:

أولا: ازدهار عمارة المدن والمشاهدة المقدسة وبخاصة في القاهرة ومعظم بلاد الشام والحجاز، فمعظم منازل القاهرة ومدينة مصر ومدن الساحل الشامي وحلب كانت تتألف من طوابق عدة تعلو بعضها البعض، وتتوسط تلك المدن المساجد الجامعة والأسواق العامة والمتخصصة.

ثانيا: أن معظم سكان مصر والمشرق العربي كانوا على المذهب السني باستثناء بعض المدن الشامية كطرابلس وصور وطبرية كانوا على المذهب الشيعي، وسكان اليمامة كانوا على مذهب الشيعة الزيدية، وسكان الأحساء كانوا قرامطة.

ثالثا: ازدهار الحياة الاقتصادية في مصر وبلاد الشام والحجاز وبلاد والأحساء، أما قبائل صحراء العرب فكانوا في غاية الفقر والجوع.

---

(1) المصدر نفسه، ص169-170.

(2) المصدر نفسه، ص169.

نحو مقاربة تاريخية في سوسيولوجيا المجتمع الجزائري

أ.د. حازم مجيد الدوري / جامعة سامراء

د. دلال جابري/ جامعة سوق اهراس

الملخص:

إن الواقع الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية الآن يجعل من علم الاجتماع و أكثر من غيره من العلوم الاجتماعية , مطالبا بتقديم تصورات و أطروحات حول ما يعرفه واقعنا (العربي) من تحولات و يعج به من ظواهر, خاصة إذا ما ارتبطت أهداف العلم بأهداف المجتمع , كما في حالة المجتمع الجزائري.

فالسوسيولوجيا في الجزائر و من أداة في يد الاستعمار , تؤسس لوجودها لتصبح في فترة ما أداة في يد السياسي الجزائري لتحقيق التنمية الاجتماعية , كانت شاهدا على العديد من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري , إلا أن واقعها اليوم يحمل كل عناصر الأزمة و إن كان يفضل العياشي عنصر القول بغياب علم الاجتماع [1]أفضل من القول بالأزمة , هذا الواقع للممارسة السوسيولوجية التي لم تتحرر بعد من التبعية الغربية [2]على حد تعبير علي الكنز , مما جعلها بعيدة عن القضايا المجتمعية لينحصر دور علم الاجتماع داخل أسوار الجامعة[3] كما يقول زاوي مصطفى.

انطلاقا من هذه التصورات و استجابة لدعوة جمال غريد[4] بضرورة الاستماع إلى المجتمع و التعرف عليه , [5]على اعتبار أن هذا التوجه يفرض نفسه و يدعو إلى تأسيس علم اجتماع نابع من خصوصية المجتمع , نحاول من خلال هذه المداخلة التأسيس لمقاربة لفهم الواقع السوسيولوجي للمجتمع الجزائري من خلال البحث في تاريخه و توجيه النظر مرة أخرى إلى أهمية العلاقة بين العلمين من اجل الوصول إلى فهم أعمق للظواهر و الوقائع .

و لتحقيق ذلك ارتأينا معالجة النقاط التالية:

أولا: السوسيولوجيا و التاريخ

1. السوسيولوجيا :العلم ,الموضوع ,مستويات التحليل.
2. العلاقة بين السوسيولوجيا و التاريخ.

ثانيا:السوسيولوجيا و المجتمع الجزائري.

1. واقع السوسيولوجيا في الجزائر.
2. خصائص المجتمع الجزائري عبر التاريخ.

---

[1] العياشي عنصر: نحو علم اجتماع نقدي دراسات نظرية و تطبيقية ,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر.1999 . ص 70

[2] El kenz Ali : au fil de la crise ;4 études sur l'Algérie et le monde arabe éditions bouchene ,Alger 1 trimestre , 1989 ;p136 .

[3] الزاوي مصطفى :السوسيولوجيا في الجزائر الإشكالية و حقل الدراسة, أطروحة دكتوراه .جامعة وهران . 2009 . ص 80 .

[4] جمال غريد (1943-2013):من مواليد مدينة بسكرة , عالم اجتماع و أستاذ جامعي بجامعة الجزائر ثم جامعة وهران.

[5] محمد بشير:علماء اجتماع التنظيم و العمل في الجزائر الرعيل الأول .داركنوز للإنتاج .ط1 .2018 .ص 15 .

ثالثا:التاريخ كاقتراب جديد لفهم الواقع السوسيولوجي للمجتمع الجزائري (قراءة في أعمال بعض علماء الاجتماع الجزائريين : علي الكنز , جمال غريد , سعيد شيخي...)

المقدمة :

تختلف العلوم الاجتماعية عن غيرها من العلوم الطبيعية, فالأولى تحاول فهم أفعال الإنسان نفسه ومعرفة النتائج التي تترتب على نشاطاته الفردية و الاجتماعية , أما العلوم الطبيعية , فهي تتعامل مع جهود الإنسان لفهم ظواهر الكون , وتتفق العلوم الاجتماعية مع غيرها من العلوم الطبيعية في استخدامها للمنهج أو الطريقة العلمية لتحقيق النتائج, و ذلك انطلاقا من تحديد المشكلة, وصياغة الفروض أو الأفكار التي تدور حول كيفية حل هذه المشكلة , ثم اختبار هذه الفروض وأخيراً تحليل النتائج واستخلاص التعميمات.

ويعتبر علم الاجتماع من أكثر العلوم اتصالاً وتداخلاً مع غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى , حيث جعله أوجست كونت أعلى قمة العلوم من حيث التعقيد, وفقا لترتيبه المعروف للعلوم و الذي كان كمايلي : الرياضيات , ثم الفلك, فالطبيعة , فالكيمياء , فالبيولوجي ,وأخيراً علم الاجتماع.[1]

وبذلك فان علم الاجتماع في أهميته بالنسبة للعلوم الاجتماعية يشبه أهمية الرياضيات بالنسبة للعلوم الطبيعية, فمن المستحيل دراسة علم الطبيعة دون إلمام ببعض المعرفة عن الرياضيات , كذلك لا يمكن دراسة علم الاقتصاد أو علم السياسة .... دون إلمام بعلم الاجتماع , وإذا كانت العلوم الاجتماعية تشترك في دراسة سلوك الإنسان في المجتمع, فمن الطبيعي أن يكون هناك بعض التشابه أو التداخل بين مجال الدراسة في علم الاجتماع ومجالات الدراسة في العلوم الاجتماعية الأخرى.

أن الحدود التي تفصل بين العلوم الاجتماعية كما يذكر العالم الفرنسي موريس دوفرجيه[2] هي حدود غير واضحة تماماً , بل هي حدود زائفة أو متصنعة , و منه لابد من التسليم بفكرة التكامل من اجل الوصول إلى فهم أعمق للظواهر.

في عملنا هذا نتناول علم الاجتماع في علاقته بالتاريخ , كمقدمة للفهم و التفسير لمختلف الظواهر الاجتماعية و نخص بالذكر الظواهر و المشكلات في المجتمع الجزائري.

أولا: السوسيولوجيا و التاريخ.

1. السوسيولوجيا :العلم ,الموضوع ,مستويات التحليل.

ظهرت السوسيولوجيا إلى الوجود بوصفها فرعا علميا أثناء القرن 19 كنتيجة للتحولات الكبيرة التي عرفتها المجتمعات الغربية بهدف الوصول إلي تفسيرات و علاجات للمشاكل المرتبطة بهذه

[1] **ايمان جابر شومان : مبادئ علم الاجتماع . جامعة الدمام التعليم عن بعد .ص 12.**

[2] **نفس المرجع .ص 13 .**

التحولات , هذه التحولات التي كانت على أصعدة كثيرة من أبرزها الثورة الفرنسية و بروز مفاهيم كالمساواة , العقل الحرية ... كما صاحب ذلك تحولات اجتماعية تميزت بالانتقال من المجتمع الريفي إلي المجتمع الحضري و ما صاحبه من تغيرات في المفاهيم و الأبنية و العلاقات بين الأفراد (كالاختفاء التدريجي للتماسك الاجتماعي و التضامن و حل محله على حد تعبير ايميل دوركايم التضامن العضوي نتيجة تقسيم العمل الذي كان السمة المميزة للمجتمع لصناعي.[1]

اهتمامات المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع كانت تعكس انشغالهم بالقضايا التي عاصروها انطلاقا من الملاحظة الدقيقة للمجتمع , و هذا لا ينفي أنهم واجهوا العديد من العقبات المتعلقة بالعلم كالفصل بين الذاتية و الموضوعية إزاء الظواهر التي هم جزء منها, هذه الظواهر (الاجتماعية) التي تتميز بالتعاقد و التشابك مما يجعلها لا تكون حكرا على اهتمامه كما الحال في الظواهر الطبيعية و إما يكون تدخله جزءا من تدخل العديد من التخصصات الاجتماعية الأخرى كالسياسة و علم النفس ...ناهيك عن العقبات و المزالق المنهجية و التي حاول اميل دوركايم في كتابه قواعد المنهج السوسيولوجي ضبطها و تقديم العلم الجديد من خلال تحديد موضوعة و منهجه

.

علم الاجتماع :الموضوع

حقق علم الاجتماع تقدماً حاسماً على يد كثير من العلماء الاجتماعيين ، أمثال : هربرت سبنسر , فرديناند تونيز , إميل دور كايم , تالكوت بارسونز , ماكس فيبر , ألفين جولدنر(وفي تناولنا لنشأة علم لا نستطيع أن نغفل فضل رائدين من مؤسسي هذا العلم ، وهما : ابن خلدون و اوغست كونت .

علم الاجتماع هو مصطلح مزيج من صاغه أوجست كونت من مقطعين Socio و logy و تعني العلم الذي يدرس المجتمع .

وقد قسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين رئيسين هما : الأستاتيكا الاجتماعية تدرس شروط وجود المجتمع . والديناميكا الاجتماعية التي تدرس حركة المجتمع المستمرة وهذا التقسيم الذي ذهب إليه , كونت هو التقسيم التقليدي الذي كان يتبع في عصره لعلم الفيزياء[2].

و منه فان موضوع الدراسة في علم الاجتماع هو :

- دراسة المجتمع.
- دراسة النظم الاجتماعية.
- دراسة الأفعال والعلاقات الاجتماعية.

تصور انجلز الإطار العام لموضوع الدراسة في علم الاجتماع على النحو التالي :

التحليل السوسيولوجي: ويتضمن دراسة الثقافة الإنسانية , المجتمع , وتحديد المنظور السوسيولوجي وتحديد أبعاد المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

---

[1] عائشة التايب: النوع وعلم اجتماع العمل في المؤسسة ,منظمة المراة العربية , القاهرة , ط1 ,2011 .ص 34 .

[2] ايمان جابر شومان : ص 2 .

الوحدات الأساسية للحياة الاجتماعية: ويتضمن الأفعال والعلاقات الاجتماعية , والشخصية الإنسانية , والجماعات , المجتمعات المحلية , والتنظيمات والسكان.

النظم الاجتماعية الأساسية: وتشتمل نظام الأسرة والقرابة , والنظام الاقتصادي , والنظام السياسي , والنظام الديني , والنظام التربوي , والنظام الترويحي , والنظام الجمالي.

العمليات الاجتماعية الأساسية: وتتضمن عمليات التباين والتدرج , والتعاون , والتوافق , والاتصال , والتنشئة الاجتماعية , والضبط الاجتماعي والانخراط الاجتماعي , والتكامل الاجتماعي , والتغير الاجتماعي[1].

علم الاجتماع : مستويات التحليل

بالنسبة لايميل دوركايم إن السوسيولوجيا تتفرد في دراستها للوقائع الاجتماعية و هذا ما يميزها عن العلوم الأخرى , و هذا التفرد ينبع من بحثها في إيجاد تفسير اجتماعي بمعنى أن السياق الاجتماعي يمكن أن يمارس تأثيرا قابلا للقياس عن طريق تحليل متغيراته .

فموضوع السوسيولوجيا حسب دوركايم هو دراسة الوقائع الاجتماعية التي ينبغي أن تفهم بوصفها أشياء , و عندئذ على السوسيولوجي أن يركز على تفسير الاجتماعي بالاجتماعي.[2]

إن الاشتغال بالسوسيولوجيا يحتم على السوسيولوجي الالتزام بالعديد من القواعد و أولها:

ينبغي على السوسيولوجي أن يحاول تجنب الأحكام القيمية التي تهدد على الدوام اقتحام و تسلل تحليله ,و على عالم الاجتماع تحري الموضوعية الكاملة و التي تبقى وهمية كما يجب عليه تحديد و تعريف صلته بالموضوع أو ما يطلق عليه فيبر بالحياد الاكسيولوجي,و الذي يعني الفصل التام بين الأحكام الأخلاقية للباحث و تحليله العلمي.

و إن كان بير بورديو يري أن من مصلحة عالم الاجتماع ان يموضع التوضيع l objectiver objectivation أي اخذ العالم الاجتماعي كموضوع (هنا يتفق مع دوركايم) و يدرج أيضا مع التحليل الاجتماعي, أي الأخذ بعين الاعتبار نظرة عالم الاجتماع عن موضوعه و بحثه .[3]

و عليه يمكن القول أن عالم الاجتماع في دراسته للظواهر الاجتماعية, إنما يهتم بالنواحي الشائعة لهذه الظاهرة , ولا يهتم كثيراً بتلك النواحي الفريدة الشائعة , التي لابد أن يكون لها صلة وثيقة بتردد الظاهرة واتجاهها, أما النواحي الفريدة فهي بحكم هذا الوصف يغلب ألا يكون لها دور فعال في تردد الظاهرة وانتشارها . وعلى هذا الأساس ، فإن علم الاجتماع لا يدرس ظاهرة بعينها في زمان ومكان معينين إلا كوسيلة لدراسة الظاهرة دراسة عامة بهدف التوصل إلى القوانين

---

[1] ايمان جابر شومان : ص 4 .

[2] فيليب ريتور: الدروس الاولى في علم الاجتماع , ت ,محمد جديدي , دارالامان , لبنان . ط1 ,2015 ,ص 32 .

[3] فيليب ريتور,نفس المرجع : ص 34-35

أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في تطورها[1].

2. العلاقة بين السوسيولوجيا و التاريخ.

مما لا شك فيه أن الظواهر الاجتماعية المختلفة لا توجد مستقلة بنفسها أو في حالة عزلة عن بقية نواحي الحياة الاجتماعية , و هذه الظواهر الاجتماعية تعتمد على بعضها وتؤثر في بعضها وتتأثر ببعضها.

ومن ثم يصبح من غير الممكن أن نميز بين علم الاجتماع وبين العلوم الاجتماعية الأخرى من حيث الموضوع , ويكون التمييز ضرورياً من ناحية وجهة النظر , أو زاوية الدراسة فحسب ، حيث نجد أن وجهة نظر علم الاجتماع عامة, بمعنى أنه يدرس الظواهر الاجتماعية ككل يعتمد على بعضه و يؤثر في بعضه و يتأثر ببعضه , وهو يخالف بذلك العلوم الاجتماعية الأخرى التي تختلف وجهة نظرها من هذه الناحية في أنها خاصة أو متحيزة لناحية من النواحي قد تكون اقتصادية أو سياسية أو دينية مثلاً , متجاهلة بذلك اعتماد الظواهر الاجتماعية على بعضها وأن الحياة الاجتماعية عموماً كل لا يتجز.

و فيما يلي نتطرق إلى علاقة علم الاجتماع بالتاريخ :

حتى القرن 18 لم يكن هناك جدال بين علماء الاجتماع و المؤرخين , و السبب أن علم الاجتماع لم ينفصل بعد عن الفلسفة , إضافة إلى أن التاريخ و الدراسات التاريخية قد جذبت العديد من المفكرين الذين يعتبرون علماء اجتماع أو منشغلين بالفلسفة الاجتماعية على غرار مونتيسكيو و جون ميلار و ادم فيرغيسون , (و إن كان هناك من يصفهم بأنهم المؤسسون الأوائل لعلم الاجتماع) , فأعمالهم (روح القوانين 1748 و مقالة في المجتمع المدني 1767 ل مونتيسكيو و فيرغيسون) كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى تأسيس نظرية اجتماعية , و انجذابهم إلى التاريخ كان من اجل الفهم و التوضيح ,حيث كتب مونتيسكيو عن عظمة روما و انهيارها و كتب فيرغيسون عن انتهاء الجمهورية الرومانية ,

كما أنجزت العديد من الدراسات كان موضوعها الأول هو التاريخ و التاريخ التقليدي حيث كان التركيز على العادات و التقاليد و الأخلاق التجارة ... و غيرها من جوانب الحياة الاجتماعية , و كمثال لذلك نذكر مقالة فولتير 1756 عن الأخلاق التي عالجت الحياة الاجتماعية في أوروبا منذ زمن شارلمان.[2]

بعد قرن من الزمن مازال المنظرون الاجتماعيون قريبون من التاريخ , حيث ناقش كارل ماركس أمثلة تاريخية كثيرة في كتابه رأس المال و كتب انجلز عن الفلاحين الألمان , أما اوغست كونت لم يبدي اهتماما مباشرا بدراسة المواقع التاريخية إلا أن أعماله يمكن وصفها ضمن الفلسفة التاريخية من خلال قانونه للمراحل الثلاث.

---

[1] ايمان جابر شومان . مرجع سابق . ص 15

[2] بيتر بيرك : علم الاجتماع و التاريخ , ت .: داوود صالح رحمة , منشورات دار علاء , دمشق . ص 11-12,

اعتقد كونت أن دراسة التاريخ أمر ضروري فكانت أعماله و عدد ممن عاصروه دراسات مقارنه معتمدة على المنهج التاريخي .[1]

أما بالنسبة لعلم الاجتماع فقد تناوله المؤرخون بجدية اقل , حيث اعتبرت فئة من المؤرخين أن عمل المؤرخين الاجتماعيين غير مهني و التاريخ الاجتماعي مصطلح مختصر و ميدان اختزل فيه الجانب السياسي من الحقيقة و برر البعض رفضهم له بأنه لم يكن علميا بما يكفي.

في حين أن فئة أخرى من المؤرخين أعزت رفضها لعلم الاجتماع لكونه علميا مجردا و مختزلا , لا يسمح بتفرد الأشخاص و الأحداث.[2]

حتى بداية القرن العشرين مازال المنظرون الاجتماعيون يأخذون من التاريخ بكل جدية مهما كانت فكرتهم عن المؤرخين , فدوركايم و إن اعتقد أن التاريخ معرفة واسعة عبثية, إلا انه اعتقد انه يمكن أن يكون ذو فائدة لعلم الاجتماع , فكتب : في تقسيم العمل1893 و النماذج الأولية للحياة الدينية 1912 .[3]

ماكس فيبر و عمق اطلاعه و معرفته التاريخية جعله يؤسس لإحدى أهم الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع , ومن أهم الأعمال في هذا المجال نخص بالذكر كتابه : الأخلاق البروتستانتية و الروح الرأسمالية , فلم يتخلى عن التاريخ في بناء نظريته فاخذ من العلم المادة و من المؤرخين المفاهيم.[4]

فيبر و دوركايم لم يكونا هما فقط من انشغلا بالتاريخ نجد أيضا باريتو و تونيز ... و غيرهم , و ظل هذا الاهتمام إلى غاية 1920 أين اكتشف برونيسلو ماكينوفيسكي أهمية العمل الميداني و الملاحظة بالمشاركة , و الاعتماد على الإحصاءات الرسمية , و أصبح علماء الاجتماع يحصلون على مادتهم بأنفسهم , و من هنا ازداد وعي علماء الاجتماع بأنفسهم و قل اعتمادهم على المادة الغريبة سواء كانت اثنوغرافية أو تاريخية.[5]

هذه التغيرات تزامنت مع العديد من التغيرات الفكرية فحلت محل نظرية التطور الاجتماعي و الانتشار الاجتماعي نظريات تفسير الوظائف الاجتماعية حتى أن توليف اميل دوركايم بين المنهج الوظيفي و التاريخ لم يستمر طويلا حيث اسقط الوظيفيون التاريخ (من أمثال مالينوفيسكي).

إن القول بتخلي علماء الاجتماع عن التاريخ ليست صحيحا إلى حد بعيد, فمعرفة منهايم بعلم الاجتماع معرفة تاريخية في الأسلوب كذلك روبرت ميرتون و ماكس فيبر , جورج هومانز ... لم تخلو أعمالهم من البحث في التاريخ , كلها تدل على حاجة علم الاجتماع للتاريخ خاصة بعدما بدا المؤرخون بإنتاج ما يمكن أن نصطلح عليه

---

[1] بيتر بيرك : مرجع .ص 12.

[2] بيتر بيرك : مرجع سابق .ص 13- 14 .

[3] بيتر بيرك : مرجع سابق .ص 16.

[4] بيتر بيرك : مرجع سابق .ص 17 .

[5] بيتر بيرك : مرجع سابق .ص 18 .

بالتاريخ الطبيعي للمجتمع و الذي دعى إليه سبنسر.[1]

كما أن التغييرات الاجتماعية السريعة جعلت علماء الاجتماع أكثر اهتماما بعمليات التغيير عبر الزمن و أيقنوا أهمية البحث في الماضي الاجتماعي, بالمقابل يستعين المرخون بعلم الاجتماع في ضبط المفاهيم و الأساليب .

و منه نستنتج أن القول بالفصل بين التاريخ و علم الاجتماع يجعلنا نبتعد عن رؤية التاريخ الاجتماعي أو علم الاجتماع التاريخي و ما يمكن أن يزودنا بحقائق للفهم و الشرح و منه ضرورة تشجيع هذا التالف بين العلمين , و هو ما جعلنا ننقاش هذا الموضوع في عملنا هذا.

ثانيا:السوسيولوجيا و المجتمع الجزائري.

1. واقع السوسيولوجيا في الجزائر.

إن المتتبع للسوسيولوجيا في الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا, يلاحظ أنها تطورت ضمن سياقات مختلفة أمام الديناميكية الكبيرة التي مر بها المجتمع الجزائري , لذا نجد أن مواقف علماء الاجتماع كانت متفاوته و مختلفة تجاهها,(السوسيولوجيا) , كما اختلفت أيضا نظرة الدولة الجزائرية بمختلف مجالاتها التنموية و مشاريعها, فأخذت السوسيولوجيا أدوارا مختلفة باختلاف المفاهيم و المقاربات و طبيعة العلاقة بينها (السوسيولوجيا) و بين المجتمع , فكانت أسئلة كثيرة لابد أن تطرح عن واقع هذا العلم و مستقبله, و ما قدمه المشتغلون به للعلم في حد ذاته و للمجتمع, و ما هي المقاربات و المفاهيم التي جاءت وليدة للواقع بمختلف تحولاته , و كيف يمكن لهذا العلم أن يقدم حلولا للمجتمع تساعده على تجاوز الأزمات و تحقيق هدف التنمية.

الجزائر و على غرار العديد من الدول في العالم العربي عرفت السوسيولوجيا مبكرا , من خلال كتابات ابن خلدون في القرن الرابع عشر , و ما قدمه من أطروحات في فهم العمران البشري , و إن كان الحديث عن السوسيولوجيا على المستوى العربي يقودنا إلى التمييز بين نوعين اثنين أو إن صح التعبير قطبين اثنين في التراث السوسيولوجي.

1. بلدان تأثرت بالنموذج البريطاني الأمريكي , من أمثلة العراق سوريا لبنان مصر و اغلب دول الخليج, و اللغة المسيطرة هي اللغة الانجليزية.
2. و بلدان المغرب العربي : أي الجزائر و تونس و المغرب و التي كانت مندمجة ضمن النظام التعليم الفرنسي , و تعود أصولها إلى مدرسة الجزائر للعلوم الاجتماعية , و التي كانت المؤسسة للمدارس السوسيولوجية في باقي المستعمرات الفرنسية, كما و كانت اللغة الفرنسية هي اللغة المسيطرة في المغرب العربي.[2]

[1] بيتربيرك : مرجع سابق .ص20 .

[2] El Kenz Ali, les sciences sociales dans les pays arabes, cadre pour une recherche, L'Algérie 50 ans après, état des savoirs en sciences sociales et humaines 1954-2004, éditions CRASC, 2004, p54.

3. مرت السوسيولوجيا في الجزائر بعدة مراحل, بداءا بالمرحلة الكولونيالية ثم عرفت عدة تغيرات في مرحلة ما بعد الاستقلال :

المرحلة الكولونيالية :

هذه المرحلة, و التي يمكن أن نطلق عليها مرحلة البداية للدراسات السوسيولوجية , حيث كانت ضمن المشروع الاستعماري أو بالأحرى أداة في يد المستعمر للتعرف على المجتمع الجزائري, و التعرف على نقاط قوته و ضعفه من خلال ما تم انجازه من دراسات استكشافية مونوغرافية و انتروبولوجية و اثنوغرافية موجهة لدراسة المجتمع الجزائري من حيث عاداته و تقاليده و لغاته...[1]

المتتبع لهذه الدراسات يرى إنها تركز على الجانب الاثنوغرافي الوصفي في البداية لتتبع الكتابات الاثنولوجية و السوسيولوجية بهدف التحليل و المقارنة لأساليب الحياة الاجتماعية و الخصائص اللغوية و الثقافية و الإسلامية و التي كانت المادة الأساسية للتحليل.

استمر البحث السوسيولوجي بتبعيته للإرث الكولونيالي بعد الاستقلال , و ذلك من خلال متابعة العديد من الفرنسيين لمهامهم في قسم علم الاجتماع حيث تولى ايميل سيكار إدارة قسم علم الاجتماع في فترة 1963-1967 , و بيار بورديو 1967-1969 , كما استمرت الجامعة في اعتماد المناهج و المفاهيم الفرنسية.[2]

السوسيولوجيا في الجزائر بعد الاستقلال:

السوسيولوجا كمصطلح في الجزائر استخدم ترسيخا للمدرسة الدوركايمية في فرنسا و اعترافا بها, حيث كتب ساباتييه Sabatier : Sociologie indigène عام 1884 ثم سوسيولوجيا البربر و السوسيولوجيا في الجزائر.[3]

علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية في بدايته كان تابعا لقسم الفلسفة تراوحت الآراء بين موقفين: الأول و بزعامة نسيب راجم و يرجع ذلك إلى 1952 و الموقف الثاني بزعامة مصطفى بوتفنوشت الذي يرجع الانطلاقة الفعلية لعلم الاجتماع و استقلاله عن الفلسفة إلى 1958 بكلية الآداب بجامعة الجزائر العاصمة,[4] و ان كان هناك فريق ثالث يرجع ذلك إلى بداية الستينات .

مرحلة 1971 حتى 1979 :

---

[1] **جمال معتوق:علم الاجتماع من النشاة الى يومنا هذا,دار الامام مالك للنشر و التوزيع .2004 .ص 35 .**

[2] **بن هامل جميلة : علم اجتماع التنظيم و العمل و التغير الاجتماعي في الجزائر,دكتورا في علم الاجتماع التنمية البشرية ,جامعة تلمسان.2017-2018, ص 31.**

[3] **Chachoua kamel : la sociologie en algerie institue de recherche et etude sur le monde arabe et musulman . 2010 . https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-01157996**

[4] **Chachoua kamel : la sociologie en algerie institue de recherche et etude sur le monde arabe et musulman . 2010 . https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-01157996**

و تعتبر مرحلة هامة في علم الاجتماع , حيث شهدت القطيعة مع الارث الكولونيالي و ذلك من خلال مشروع تبنته الدولة , اريد له مشروعا تحديثيا مقابل محاربة كل ما هو تقليدي , و مهمة موكلة لعلماء الاجتماع في إطار قوالب اشتراكية الإيديولوجية , فاستحقت هذه المرحلة لقب المرحلة النظالية للمكانة و الدور المهم الموكل لعلماء الاجتماع .[1]

فكان منتظرا من علم الاجتماع تحقيق التقدم للمجتمعات الخارجة من ظلم الاستعمار و هدفه التنمية و التغيير.

حتى أن التخصصات التي برزت في علم الاجتماع في هذه الفترة كانت موجهة لخدمة المشروع التنموي فعرف : علم الاجتماع الريفي علم الاجتماع الحضري علم الاجتماع الصناعي و ذلك تجاوبا مع الثورة الزراعية و الصناعية و الثقافية التي أتت بها المخططات التنموية التي عرفتها مرحلة حكم الراحل الرئيس هواري بومدين.[2]

و ملخص هذه الفترة أن علم الاجتماع كان له دور الريادي و التنموي, أي الانتقال من العلم الأكاديمي إلى الإيديولوجي التنموي, أي كان أداة في يد السلطة التي جعلت مهمتها الأولى تنمية البلاد و تحديث و تحرير المجتمع الجزائري.

و يقول العايشي عنصر في وصفه لمكانة السوسيولوجيا في هذه الفترة : إن الموقف السلبي اتجاه علم الاجتماع بدا واضحا من خلال الخريطة الجامعية التي تم اعتمادها سنة 1984, أين تم التخطيط لاختزال معاهد العلوم الاجتماعية و علم الاجتماع خصوصا و مضاعفة المعاهد المتخصصة للعلوم التطبيقية.[3]

فترة العشرية السوداء و أحداث اكتوبر1988 و ما لحقها من تحولات على المستوى السياسي و الاقتصادي والاجتماعي , أثرت كلها على البحث السوسيولوجي فبرزت دراسات تناولت وضعية المرأة و الحركات الدينية و الأحزاب و الحقوق و التي كانت في عهد الاشتراكية من الطابوهات...كما عرف علم الاجتماع العديد من الإصلاحات من خلال البرامج و ميادين البحث السوسيولوجي بعد 1988 .

في خضم هذه الظروف عرف علم الاجتماع كل مؤشرات الأزمة و الفشل و غيرها من التسميات و ان اختلفت باختلاف الباحثين , إلا أن علماءه و باحثيه اتخذوا اتجاها نقديا محاولين بذلك تحديد مختلف جوانب القصور و النقص.

علي الكنز [4], و في توصيفه لواقع السوسيولوجيا في الجزائر ركز على النقاط التالية:

- وصف الممارسة السوسيولوجية في الجزائر بالتبعية للسوسيولوجية

---

[1] نفس المرجع ص 36 .

[2] الطاهر ابراهيمي: نحو علم اجتماع لما بعد التعددية السياسية في الجزائر,الدواعي و الإمكان رؤية تحليلية ,مجلة العلوم الإنسانية ,جامعة بسكرة .العدد10.2006.ص 63 .

[3] نفس المرجع :ص 68 .

[4] على الكنز: عالم اجتماع و أستاذ جامعي من مواليد 6 جانفي 1946. بسكيكدة .

الغربية بأشكال التكرار و التبعية سواء بطريقة واعية أو غير واعية.

- النظريات الغربية نقلت بصورة خام إلى الممارسة السوسيولوجية العربية و هذه النظريات لم تعطنا الأدوات اللازمة لمعالجة قضايا واقعنا.
- البحوث المنتجة بحوث عقيمة أعيد تركيبها بطريقة مصطنعة لتلاءم الواقع.
- و في مجال سوسيولوجيا العمل يواجه علماء الاجتماع صعوبة في دراسة المصانع المستوردة و تنظيمها لاجتماعي و ما يصاحبها من تبعية للمختصين الأجانب.[1]
- كما أن المفاهيم المستخدمة في التحليل لم تعد تفي بالغرض العلمي فعلى سبيل المثال لا الحصر مصطلح المؤسسة الاقتصادية, فواقع المؤسسة الجزائرية يلح بضرورة إضافة الجانب الاجتماعي و بذلك يتحول المصطلح إلى المؤسسة الاقتصادية الاجتماعية.[2]

جمال غريد [3]لخص موقفه في عبارته الشهيرة :إن اشد ما يفتقر إليه علم الاجتماع هو علم الاجتماع في حد ذاته فما هو قائم هو علم اجتماع لا مجتمع له و مجتمع لا زال ينتظر علم اجتماعه.

محمد بشير[4] يتكلم عن مجتمع خيالي في مقابل مجتمع واقعي حيث اهتمت السوسيولوجيا بدراسة مجتمع غير المجتمع المطالبة بدراسته و يضيف أن علم الاجتماع حتى الثمانينات كان يقارن على المستوى النظري بما يجري في الجامعات العالمية.[5]

عبد الناصر جابي تحدث عن ضعف النخب الثقافية و العلمية في المجتمع معبرا عنه بالانقسامية بين النخب و ضعف دورها و علاقتها بالمجتمع , فعلماء الاجتماع حسب رأيه قد تعرضوا للمجتمع بشكل سكوني و ليس بشكل دينامي.

وفي هذا السياق يعتبر جمال معتوق أن غياب المشتغلين بهذا العلم على الساحة يعود إلى:

- خطورة هذا العلم و بالخصوص على مصالح النخبة الحاكمة لما يسببه لها من ضرر معنوي.
- غياب الديمقراطية وتقييد حرية الفكر.

---

[1] EL Kenz Ali, Au fil de la crise, 4 études sur L'Algérie et le monde Arabe, éditions Bouchene, Alger 1 er trimestre, 1989, p 136.

[2] محمد بشير.مرجع سابق :ص 189 .

[3] جمال غريد (1943-2013):من مواليد مدينة بسكرة , عالم اجتماع و أستاذ جامعي بجامعة الجزائر ثم جامعة وهران,

[4] محمد بشير: من مواليد مدينة تلمسان 1957 , عالم اجتماع و أستاذ علم الاجتماع و الانتروبولوجيا بجامعة تلمسان.

[5] بن هامل جميلة .مرجع سابق .ص 8.

- التحيز الفكري الأيديولوجي لبعض المشتغلين في هذا العلم على حساب علم الاجتماع.
- انعدام أو ندرة الدراسات الجادة في مجال التراث العربي الإسلامي عامة والتراث الجزائري خاصة الفعلية التي هو عليها.

من خلال ما قدمه من وصف لوضع السوسيولوجيا في الجزائر نجد أن الأسباب المؤدية لهذه الوضعية اختلفت , إلا أن المساعي كانت كلها موجهة نحو تقديم تقييم نقدي لعلم الاجتماع في الجزائر من خلال مصطلحات كثيرة كالأزمة و غياب علم الاجتماع و الفشل و التبعية...

و يرجع محمد بشير أسباب فشل السوسيولوجيا إلى :

- فشل التنمية.
- العلاقة العضوية بين الصناعة و السوسيولوجيا إلى حد مقارنة فشل الصناعة بفشل زرع السوسولوجيا.
- اللاتراكم العلمي حول المجتمع الجزائري.
- طبيعة العلاقة بين رجل السياسة و رجل العلم.
- الخلط بين الاجتماعي و السوسيولوجي.
- المفارقة المستعصية بين الجانب العلماني للسوسيولوجيا و المجتمع المتميز بالعمق الديني.[1]

2. خصائص المجتمع الجزائري عبر التاريخ.

يتميز المجتمع الجزائري بالتنوع الثقافي, وهوية ثقافية متعددة المقومات, لاتساع الرقعة الجغرافية والتمازج ألاثني, والثقافي الذي عاشته المنطقة, أهمه تلاقح الثقافتين الأمازيغية والثقافة العربية الإسلامية, الذي تمخضت عنه تشكيلة أو البنية الاجتماعية الجزائرية بما تحمله من زخم و ثراء في العادات و التقاليد نتيجة الاحتكاك الثقافي مع العديد من حضارات الشعوب.

إن تعاقب مختلف الحضارات على منطقة شمال إفريقيا عبر التاريخ, كان له أثر على الثقافات المحلية , و فيما يلي عرض مختصر لأهم المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري:

1.عهد ما قبل التاريخ

مرت الجزائر كغيرها من الدول العالم بأطوار ما قبل التاريخ و إن كانت هذه الفترة ما تزال محاطة ببعض الغموض و ذلك لقلة المصادر المكتوبة عليها , إلا ما توصلت إليه بعض الاكتشافات في علم الآثار, و التي كشفت عن بعض مظاهر و مميزات الحياة في تلك الفترة ,حيث عرف الإنسان الاستقرار و التجمع وبناء القرى و التبادل التجاري و استخدام النار و الزراعة , كما نقش الرسوم و صنع الأواني و نسج الثياب , و مازالت بعض هذه

[1] محمد بشير مرجع سابق .ص 153 .

الملامح مدونة في نقوش الإنسان البدائي حتى يومنا هذا في العديد من الشواهد التاريخية في الهقار و التاسيلي و عين الناقة بالجلفة , و من الحضارات التي ظهرت في شمال إفريقيا في العصر الحجري الحضارة الآشورية و العاترية و غيرها من الحضارات و تثبت الشواهد التاريخية أن سكان الجزائر عرفوا الحياة الاجتماعية منذ القدم و كان الأب هو المسؤول الأول على الأسرة و بانتهاء العصور الحجرية دخل الإنسان مرحلة العصور المعدنية أين عرف الإنسان المعادن و كيفية استعمالها كأدوات للعمل أو للدفاع عنه .

2.العهد الفينيقي: 1200 ق م .

ينتسب الفينيقيون إلى العنصر السامي الذي ينتمي إليه العرب و هم الفرع الكنعاني ,كانوا تجارا ماهرين يهدفون إلى الربح و كان لهم أسطولا بحريا ضخما جابوه به معظم شواطئ العالم القديم , كما يذكر المؤرخ سترابون Strabon أن التجار الفينيقيين اجتازوا أعمدة هرقل و أسسوا مدنا على شواطئ البحر المتوسط...

كما كانت لهم العديد من المحطات التجارة على غرار: نابلس طبركة بنزرت عنابة كيكدة قسنطينة جيجل بجاية ...يمارس فيها الفينيقيون أعمالهم التجارية كما تفيد الكتابات التاريخية بان علاقتهم مع الأهالي كانت علاقات طيبة مبنية على المصالح المتبادلة.[1]

3.العهد الروماني 149 ق م

من المبررات التي دفعت الرومان إلى الدخول إلى شمال إفريقيا هو الوجود الفينيقي إضافة إلى ما كانت إفريقيا تزخر به من ثروات .

عرفت إفريقيا أثناء التواجد الروماني هجرة العديد من الوافديين الايطاليين الذين اشتغلوا بالفلاحة و التجارة و التعليم و الطب و استقر معظمهم بالمدن كما جلبوا مختلف الخدمات ذات الطابع الحضري و الريفي , و بالرغم من دخول عادات رومانية في حياة البربر إلا أنهم لم يتأثروا بها كثيرا.[2]

مجتمعات شمال إفريقيا لم تعرف التحضر والتمدن الذي كانت تعيشه الامبراطورية الرومانية آنذاك،لان الرومان لم يحملوا حضارتهم إلى المنطقة،بل اكتفوا بإتباع نظام قائم على الاستعباد ونهب خيرات المنطقة عن طريق امتلاك الأراضي،والمحاصيل الزراعية،خاصة منها الحبوب.

فكانت الثقافة خلال هذا العهد حكرا على نخبة من المفكرين الذين تأثروا بالثقافة واللغة اللاتينية لا غير،فظهرت مجموعة من رجال الفكر الامازغيين أمثال:جوغرطة،و سيفاسكس أما بقية الشعب كان يعيش حالة جهل وتهميش.

وبالرغم من ذلك،ترك الوجود الروماني وحضارته اللاتينية بصماته على الثقافة المحلية أبرزها الإرث المعماري بالمنطقة، مثل المسارح،والمدرجات،والأقواس، وآثار الأسواق وهياكل وغيرها من الآثار الموجودة الى غاية اليوم (أطلال مدينة تيمقاد،سور تبسة،بوابة كراكلا.)...

[1] عمورةعمار:موجزفي تاريخ الجزائر, داريحانة , الجزائر, 2002 ,ط2 .ص 11

[2] عمورة عمار:المرجع نفسه .ص 30 .

4.عهد الوندال 429-536 م

الوندال شعوب من الأصل الجرماني من سواحل البلطيق , كان حكمهم ملكيا وراثيا استبداديا , و اتسم المجتمع الوندالي بالطابع العسكري , كما وحافظوا على اللغة اللاتينية في تعاملهم مع الأهالي.

5.العهد البيزنطي: 534-647 م

حلت الإمبراطورية البيزنطية محل الإمبراطورية الرومانية , و كانت الجزائر في هذه الفترة مقسمة إلى عدة إمارات يحكمها البربر مستقلين عن الحكم البزنطي ,كما لم يترك البيزنطيون أثارا عمرانية تذكر عكس الرومان الذين اهتموا كثيرا ببناء القلاع و الحصون و تعبيد الطرق و تشجيع الفلاحة.[1]

6.الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا:

الفتوحات لم تستأنف إلا باستقرار الحكم في يد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان حيث عين معوية بن حديج الكندي واليا على إفريقيا .

و في سنة 50 هـ عين عقبة بن نافع الفهري واليا على افربقيا . كما تعاقب مجموعة من الولاة عليها و بدأت تظهر دول المغرب العربي منفصلة في فترة الخلافة العباسية فكانت الدولة الادريسية بالمغرب و الاغلبية بتونس و الرستمية بالجزائر.

و يقول ابن خلدون في كتابه تاريخ البربر أن اعتناق البربر للإسلام لم يتم إلا في سنة 101 هـ .[2]

في هذه الفترة تعاقبت على أرض الجزائر العديد من الدول الإسلامية من بينها الدولة الرستمية, والإدريسية, والأغلبية, والفاطمية, ودولة المرابطين, ودولة الموحّدين, وغيرها من الدول الإسلامية, لينتهي بها المطاف تحت حكم الدولة العثمانية.[3]

المجتمع الجزائري بعد الفتوحات الإسلامية كان يعيش فترة مزدهرة اتسمت بطلب العلم وانتشار الفنون، وكان مجتمع متعطش للمعرفة واكتشاف العلوم ومهارات جديدة، بالرغم من أن المنطقة عرفت العديد من الصراعات والحروب ومع ذلك صاحبتها تبادلات ثقافية، والحروب ومع ذلك صاحبتها تبادلات ثقافية، أبرزها بروز عدد من المراكز الثقافية الكبرى:

بجاية:عاصمة الحمادين،كانت تمثل أكبر عاصمة ثقافية خلال الفترة الحمادية.

تيارت(:تاقدمت)تعد مدينة ابن خلدون أين كتب فيها" المقدمة"، فضلا على أنها كانت (تيهرت) عاصمة مملكة الرستوميين.

تلمسان:كانت العاصمة السياسية والثقافية خلال عهد الزيانيين، عرفت بالعلماء الصوفيين أمثال:أبو مدين شعيب ومحمد بن يوسف السنوسي..

قسنطينة:تميزت خاصة بحركتها الفكرية و الثقافية.

---

[1] عمورة عمار:المرجع نفسه ص 36 .

[2] عمورة عمار:المرجع نفسه .ص 42 .

[3] مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجز ائر في القديم و الحديث.ج1 .المؤسسة الوطنية للكتاب, لبنان .دس .صفحات متفرقة من المرجع .

ومما ساعد أيضا سكان شمال إفريقيا على تشكيل هذا التنوع الثقافي هم النازحين الأندلسيين خلال نهاية القرن الخامس عشر و ما حملوه معهم من ثقافة وإشعاع الثقافي.

7.الحكم العثماني :1518 -1830 .

تميز الوضع الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم, و أسلوب حياتهم , و اختلاف مصادر رزقهم , و كذا علاقتهم بالحكام فكانت هناك جماعات و طوائف متمايزة منها من كان من سكان الأرياف و منها من كان من سكان المدن , حيث ضم فئات من العثمانيين و و الكراغلة و الجزائريين و المهاجرين الأندلس و الزنوج و اليهود و الأوروبيين.

الاستقرار الداخلي لدولة الجزائر و هويتها التركية , على حد تعبير ويليام سبنسر, قد شجعها على تقوية الروابط الاجتماعية و الثقافية باللايالة , و يواصل قائلا أن الايالة كانت أكثر شبها بالإمارة العثمانية الأولى لعصمان و اورهان التي كانت في بورسا ,[1] و من جهته يشير أبو القاسم سعد لله إلى انه كان هناك ذوق عام في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني رغم أن الوضع كان يختلف من جهة إلى أخرى,[2] إلا انه كانت هناك عادات و تقاليد يمارسها أهل المدن و أخرى اختص بها أهل الأرياف , فتنوعت عادات أهل الريف مستمدة توجيهاتها من أهل الطرق الصوفية في اغلب الأحيان, أما عادات أهل المدن فكانت موحدة و تتأثر بما يجري في الأندلس و الحواضر الإسلامية الشرقية.

8.الاستعمار الفرنسي :1830 – 1962 .

بعد مصادقة الحكومة الفرنسية على مشروع الحملة ضد الجزائر , هملت السلطات الفرنسية على كسب تأييد الرأي العام و تأييد معظم دول أوروبا , و انطلقت الحملة بتاريخ 14 جوان 1830 , في هذه الفترة استعمل المستعمر الفرنسي مختلف الأساليب البشعة في استنزاف خيرات البلاد و تفقير شعبها و تحطيم معالم هويتها حيث حاول المستعمر الفرنسي السيطرة على الأوقاف الإسلامية كما تم تحويل العديد من المساجد إلى إسطبلات و مستودعات و مستشفيات على غرار مسجد كاتشاوة الذي حوله الجنرال دي روفيغو إلى كنيسة سنة 1832.

و في إطار حملة الفرنسة تم تسمية العديد من الشوارع و الساحات بأسماء حكام و مثقفي فرنسا كما تم إنشاء الحالة المدنية حيث فرض على الجزائريين أسماء رغما عنهم و في بعض الأحيان مهينة و مضحكة.[3]

9.الدولة الجزائرية المستقلة :1962 إلى يومنا هذا.

بعد تاريخ 5 جويلية 1962 وجدت الدولة الجزائرية نفسها في مرحلة فراغ ايديولوجي و فراغ في مختلف الهياكل و شعب منهك بعد أكثر من قرن و نصف من وجود المستعمر الفرنسي ,

---

[1] وليام سبنسر:الجزائر في عهد رياس البحر. ت عبد القادر زيادية.دار القصبة للنشر. الجزائر.2006.ص 99 .

[2] أبو القاسم سعد لله :تاريخ الجزائر الثقافي, 1500 – 1830 , ج1 .عالم المعرفة . الجزائر2009.ص 158 .

[3] عمورة عمار:مرجع سابق .صفحات متفرقة .

لتستطيع الدولة الجزائرية أن تنهض مرة أخرى رغم الظروف الصعبة التي مرت بها.

إن الحديث عن المجتمع الجزائري يدفعنا إلى البحث عن بنية و أصول هذا المجتمع و أقدم من سكنه ,حيث تثبت العديد من الدراسات التاريخية إن البربر هم أقدم من سكن بلاد المغرب , أي أن البربر هم السكان الأصليون , و إن كانت هناك روايات كثيرة لتفسير هذه التسمية :

من الروايات من ترجع أصل الكلمة إلى الحضارة الرومانية و أصل الكلمة VARVAROS و تعني الكلام الغير مفهوم أي اللذين لا يتكلمون لغتهم ,و أطلق لفظ BARBAR على كل الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية.

و في رواية أخرى ترى أن أصل الكلمة عربي تعود إلى الجد الأكبر...و الروايات كثيرة إلا أنها تتفق على أنها تسمية مستوردة و ليست نابعة من جوهر السكان .

أما كلمة امازيغ فهي من الأسماء العربية في التراث الشعبي المشرقي و هو اسم عربي الصميم.[1]و الامازيغي يعني الرجل الحر.

كما وجد أن البربر لا يتألفون من عنصر واحد بل مزيج بشري ,كما اختلفت الروايات أيضا في ذلك ,حيث ترى فئة من المؤرخين أن البربر أصلهم هندي أوروبي و أخرى ترى أن أصلهم سامي أي من أبناء سام بن نوح و في روايات أخرى من أبناء حام بن نوح أي أصلهم حامي .

روايات كثيرة حول البحث في أصل البربر كلها تهدف إلى نفى الأصالة عنهم فوق أرضهم و حجة لتمرير الفكرة الاستيطانية و إعطاء الحق للجميع في التواجد على الأرض , و ان أثبتت الأبحاث وجود حفريات لأقدم إنسان عاقل في شمال إفريقيا بالتحديد منطقة معسكر.و في هذا المقام يمكن أن تستفيد الأبحاث الانتروبولوجية و الجيولوجية من نظرية الأصل المحلي.

التراث الجزائري هو حقل مركب تتداخل فيه العديد من الأصناف الثقافية والثقافات الفرعية , بفضل تعدد الوحدات الاثنية و الجماعات الإنسانية وتعدد الثقافات التي شاركت في بناء صرح الحقل الثقافي الجزائري، وجعله يتميز بالتنوع.

تلك الوحدات الاثنية والجماعات الإنسانية تتمثل في:

- القبايل :هم سكان جرجرة و الصومام.
- الشاوية:سكان الأوراس والشرق الجزائري.
- بني ميزاب:هم جماعات بربرية تعيش بسهب" ميزاب".
- الطوارق:المنتشرون بالجنوب الجزائري.
- العرب:هم الفئة التي وصلت إلى شمال إفريقيا خلال الفتوحات الإسلامية،ثم اندمجت بالسكان الأصليين و انتشروا بباقي أنحاء الجزائر.

---

[1] **عثمان سعدي :معجم الجذور العربية للكلمات الامازيغية (البربرية) ,دار الأمة ,الجزائر.ط1 .2007..ص 3.**

- الشناوى :يتواجدون بجبال الشنوة بولاية تيبازة.
- الشلح :متواجدون بتلمسان ومدينة البيض وبالهضاب العليا في جنوب الغربي إلى الحدود الجزائرية المغربية[1].

ثالثا:التاريخ كاقتراب جديد لفهم الواقع السوسيولوجي للمجتمع الجزائري (قراءة في أعمال بعض علماء الاجتماع الجزائريين : علي الكنز , جمال غريد , سعيد شيخي...)

عاب كثيرا علي الكنز على السوسيولوجيا في الجزائر التبعية للسوسيولوجيا الغربية وقال بضرورة تبني مقاربات نظرية نابعة من عمق الواقع الاجتماعي الجزئري, و هذا العيب جعل السوسيولوجيا في الجزائر تقدم دراسات عقيمة .

و من جهته يقول جمال غريد :عندما اطلع بعض الزملاء في فرنسا على مخطوط كتابي الدخول إلى السوسيولوجيا قالوا أنت على حق و لكن وجه هذا الكلام إلى زملائك في الجزائر , لأننا نحن أنتجنا سوسيولوجيتنا حسب خصوصيتنا الاوروبية.[2]

و يواصل جمال غريد , حديثه عن الجهود التي بذلت في مجال السوسيولوجيا في الجزائر ضمن ثلاث أطروحات :

- أطروحة الدخول الكوني الأوروبي: الذي يصف من خلاله امتثال المجتمعات للمسار الذي تسلكه المجتمعات المتطورة, و يفسر عدم نجاحه في فكرة الامتثال نفسها لنماذج المجتمعات المصنعة و فكرة وجود رفض أو مقاومة إن صح التعبير للتحديث المنسوخ عن الغرب.
- الدخول بواسطة الخصوصية الثقافية : حيث يرى جمال غريد أن هذا التوجه يفرض نفسه و يدعو إلى تأسيس علم اجتماع نابع من الإرث العربي الإسلامي.
- الدخول بواسطة التنمية : و هي نظرية تقوم على المركزية الغربية و فكرة التسليم بأفضلية النموذج الغربي أي إمكانية تطبيقه على كل المجتمعات.

و يوضح جمال غريد أن هذه الصيغ الثلاث للدخول إلى فضاء السوسيولوجيا باءت بالفشل و منه ضرورة تأسيس سوسيولوجيا جديدة تأخذ بعين الاعتبار تجارب مجموع المجتمعات أي التوجه إلى العمل الميداني الشاق.[3]

و قد لخص ذلك في مقولتين :

- يجب الاستماع إلى المجتمع.
- يجب معرفة المجتمع .

و عليه فان العمل الميداني يجب أن يدعم بمادة كافية للتعريف بالمجتمع , خاصة إذ تعلق الأمر بالمجتمع الجزائري الذي عرف (كما ذكرنا سابقا) تحولات كثيرة , نتيجة تعاقب الكثير من الحضارات و التي كان لها بالغ الأثر على الثقافة المحلية و البنية الثقافية و التي تعكس في مختلف تفاصيلها و طقوسها و أساطيرها و رواياتها قصة

---

[1] أحمد السليماني: تاريخ مدينة الجزائر الجزائر, ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر.ص43 .

[2] محمد بشير.ص 15 .

[3] محمد بشير: مرجع سابق .ص ص 162-163 .

تفاعل الفرد الجزائري مع بيئته و مع الحضارات التي مرت به , لنجد أنفسنا أمام مجتمع يعرف تنوعا و زخما كبيرا في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية التي تختلف في البلد الواحد من منطقة إلى أخرى .

و منه نوجه النظر إلى ضرورة البحث في التاريخ الاجتماعي للجزائر و الاستعانة بما هو متوفر من مادة من اجل الوصول إلى فهم أكثر للظواهر و الحقائق .

طرح علماء الاجتماع الجزائريين العديد من المفاهيم التي صاغوها بعد دراساتهم الميدانية للواقع الاجتماعي الجزائري نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الهوية في العمل: يرى سعيد شيخي أن المؤسسة لا تمنح العمال هوية بل يبحثون عن تحقيقها في فضاءات أخرى,[1] و في نفس السياق يوضح محمد مبتول أن نشاط العمال في مكان عملهم مرتبط بحياتهم الاجتماعية.

أي أن الجزائري مازال يرى أن هويته لا تتعدى حدود بيته أو حيه , و ما دون ذلك هو فضاء لا يمكنه من تكوين هويته , أو يمكن إن يمنحه الانتماء و الاعتزاز الكافي الذي يشعره بالرضا أو الانجاز.

و إن تساءلنا قليلا , لماذا الجزائري لا يرى في فضاء العمل أو الفضاء العام , فضاءا ممتدا لهويته أو يعبر عن هويته ؟

نجد أن الجزائر و لفترات كثيرة من الزمن كانت محكومة من غير الجزائريين , و كثيرا ما عاملت هذه الحكومات , الجزائريين على أنهم أهالي و ليس لهم الحق في التمتع بحقوقهم في وطنهم , كما تثبت العديد من الدراسات التاريخية أن الجدل القائم حول أصول سكان الجزائر و شمال إفريقيا ما هو إلا حجة أو ذريعة لتبرير وجود المستعمر أو المحتل لهذه المنطقة و جعل الفكرة الاستيطانية مقبولة ,و منه إعطاء الحق للجميع في التواجد على هذه الأرض .

من خلال دراسة لوكور للقانون الاستعماري الأهالي l'indigénat الذي حلله مطولاً, متناولا الجانب التاريخي والسياسي والإداري الذي تتضمنه الوثيقة التي صدرت بحق الجزائريين في فترة الوجود الاستعماري , وبين كل ما تحتوي عليه من إجراءات قانونية و ترتيبات إدارية , وضعت لردع كل أنواع التصرفات ولقمع المخالفات التي من شئنها أن تخل بالنظام العام الذي يفرض على الأهالي, والكثير من العقوبات المجحفة إزاءهم « code matraque ».

واعتبرت فرنسا الجزائر, رغم المبادئ العصرية, مقاطعة تابعة لها وفقا للنظام الإقطاعي الذي يجعل من المواطنين الفرنسيين هم الأسياد والسكان المحليين هم العبيد .

كما رفض القانون الاستعماري , تطبيق الحقوق السياسية والحريات الشخصية للأهالي, نظراً لأنهم ليسوا مؤهلين للتمتع بها, ولكي يبقوا دائما خاضعين لهذه القوانين الصارمة التي تمنعهم من أي حق ومن أية كرامة.

[1] محمد بشير,مرجع سابق .ص ص 50-59 .

وذكر لوكور في تعريف كلمة أهالي لأحد الأساتذة الفرنسيين صولوس (Solus) سنة 1927م تعني: السكان البدائيين لإقليم استعماري ضمته فرنسا،أو وضعته تحت حمايتها أو عهد إلى انتدابها.[1]

فالأهالي هم مجرد رعايا تحت السلطة الفرنسية وتحت حمايتها وليسوا مواطنين فرنسيين, وأصبحت جميع القوانين التي تتخذ بالجزائر تضع دائماً تمييز واضح بين المواطنين الفرنسيين وبين الرعايا .

ناهيك عن أن الاستعمار الفرنسي و طيلة قرن و نصف حاول ان يضرب هوية الجزائريين بشتى الطرق , حيث عمد إلى تحويل عدد من المساجد الكبيرة إلى كنائس مثل ما هو الحال بالنسبة لجامع "كاتشاوة"بالعاصمة, كما مُنحت المدرسة و الزاوية التابعة للجامع الكبير إلى أحد الأوربيين, الذي حولهما إلى حمام فرنسي بهدف القضاء على التعليم العربي الإسلامي والثقافة بصفة عامة, والتجهيل والتفقير مقابل الفرنسة والتنصير.

ولم يكتف المحتل بمحاربة اللغة العربية في جميع ميادين الحياة المختلفة, بل عمل على تشويه تاريخ الجزائر في ضل العروبة والإسلام بقصد التشكيك بانتماء الجزائر العربي الإسلامي بشتى الطرق , كما منع تدريس جغرافيا و تاريخ الجزائر لأبناء الجزائريين , مقابل تدريس جغرافية و تاريخ فرنسا , حتى تقتل الروح الوطنية في نفوسهم.

كلها عوامل جعلت الفرد الجزائري يحصر ممارسة جوانب هويته في اطر ضيقة قد لا تتعدى أسرته أو حيه , و ما دون ذلك فهو غريب عنه , و ربما هذا ما يفسر أيضا العديد من الممارسات السيئة التي يبدي فيها الجزائري لامبالاة بالفضاء العام و التي نسبت إلى الجزائري دون بحث في أصول الظاهرة (كرمي النفايات مثلا مع أن بيت الجزائري مازال رمزا للنظافة)

التباينات الاجتماعية: و هو مفهوم مهم تحدث عنه سعيد شيخي في أعماله واصفا المجتمع الجزائري بأنه مجتمع منتج للتباينات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية نتيجة لتقسيم العمل و التقييم الاجتماعي.

و هذا يبدو جليا في مختلف المواقف التي يسلكها الفرد الجزائري في حياته اليومية , و لكن هنا نتساءل هل هذا التصرف هو من مكونات الشخصية الجزائرية أم هو بفعل مؤثرات أخرى جعلته يبدو و كأنه من خصائص الفرد الجزائري.

المجتمع الجزائري و لفترات زمنية كثيرة عانى من ظاهرة التميز و التصنيفات المختلفة للفئات الاجتماعية, و التي كثيرا ما رتبت فئة الجزائريين في مراتب دنيا , و على سبيل المثال نأخذ فترة الوجود العثماني :

حيث برزت فئة العثمانيين كفئة متميزة و مميزة , حيث كان العثمانيون ينظرون إلى الجزائريين نظرة

---

[1] Olivier. le cour grandmaison « De l'indigénat Anatomie d'un « monstre » juridique : le droit colonial en Algérie et dans l'Empire français » Paris Zones 2010. p81.

ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي .ج1 نف

استعلاء و احتقار و ازدراء[1], كما و أسرفوا في جمع الأموال و استخدام الرشوة ضد الجزائريين فلم يكن باستطاعة الجزائريين الحصول على مناصب عمل أو على ترقيات إلا برشوة الباشا و حريمه و الوزراء و كبار الموظفين [2]....

كما عزف العثمانيون عن تبني أبنائهم (الكراغلة) , و اعتبروهم عنصرا هجينا و لا يرتقي إلى مستوى الأصول العثمانية النقية الخالصة , كما و فضل بعضهم عمليات الإجهاض حتى لا تربطهم صلات المصاهرة او القرابة بالأسر المحلية .

كما و عمد الحكام العثمانيون لاتخاذ العديد من الإجراءات للحيلولة دون ذلك الاختلاط أو الاقتراب من السكان الأصليين, فكان الجند الأتراك الذين يقبلون على الزواج من الأسر الحضرية يفقدون امتيازاتهم و من جهة أخرى تتعرض العائلات التي لها رغبة في مصاهرة العناصر الحاكمة إلى العقاب و البطش ليكونوا عبرة للآخرين.[3]

فئة الكراغلة كانت تحتل المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي , و هي فئة ظهرت بعد فترة من التواجد العثماني تمثل المولودين العثمانيين لأفراد الجيش الانكشاري من أمهات جزائريات.

و كلمة كراغلة مع مرور الوقت أخذت بعدا اجتماعيا فنجدها تتحول إلى صفة و تنطق كلمة (مكرغل) كناية عن نقص الفهم و الذكاء و عدم القدرة على استيعاب الأمور , و هو مصطلح مازال مستعملا حتى ألان في اللغة العامية .

و منه فان فكرة إنتاج الجزائري للتباينات و حاجته الدائمة إلى تكوين مفاهيم حول مكانة الأفراد و الوظائف التي يشغلونها و ما يتبع ذلك من أساليب التعظيم و المحاباة و الرشوة ...أو غيرها هي نتيجة لظاهرة التميز التي عايشها كثيرا الجزائري في تعامله مع مختلف الفئات التي حكمت البلاد.

و غيرها من المفاهيم كثيرة , التي لا يمكننا إيرادها كلها و إنما تحتاج إلى فسحة اكبر ربما تطور إلى أعمال أخرى .

لكن ما نود الإشارة إليه في ختام عملنا هذا, أن اشد ماتحتاجه السوسيولوجيا الآن في الجزائر هو التوجه إلى المجتمع بالبحث و الدراسة, سواء كانت دراسات ميدانية أو بحثا في تاريخ المجتمع من اجل تكوين تراث سوسيولوجي كاف لفهم مختلف الظواهر الاجتماعية و تفعيل القوانين التاريخية من اجل التنبؤ و التحكم في مستقبل الظواهر.

ابو القاسم سعدلله: تاريخ الجز ائر الثقافي .ج1 نفس المرجع .ص 153 [1]

ابو القاسم سعدلله:نفس المرجع .ص 154 [2]

[3] ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ ,العهد العثماني .المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر .1982 ا .ص 94 .

الخاتمة

إن الحديث عن علاقة علم الاجتماع بالتاريخ هو اقرب إلى الحديث عن علاقة المجتمع بماضيه , فان كان علم الاجتماع يركز اهتمامه على الظواهر في الوقت الحاضر , فان فهمها يدفعنا بطريقة أو بأخرى إلى البحث في تاريخها و العوامل التي جعلتها تبدو بالشكل الذي هي عليه .

السوسيولوجيا في الجزائر ليست بأحسن حال من نظيراتها في المجتمعات العربية ,خاصة إذا تعلق الأمر ببناء نظرية تنبع من خصوصية المجتمعات العربية , و إن كانت هناك محاولات عديدة على غرار الفرابي ,ابن خلدون , وعلي الوردي ... إلا أنها ضلت محاولات مبتورة , و لم تطور لتضاهي النظريات الغربية , و عليه ,لابد من التوجه إلى العمل الميداني الشاق و البحث التاريخي الاجتماعي العميق حتى نتمكن من تكوين سوسيولوجيا تنبع من خصوصية مجتمعاتنا و ارثنا الحضاري .

التاريخ والأنثروبولوجيا بمغرب الحماية

الباحثة ابتسام بهيج

جامعة الحسن الثاني /كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك / مختبر المغرب والعالم الخارجي

مقدمة:

أخذ التاريخ مركزا متميزا بين العلوم الانسانية، ولكي يحافظ على مكانته يجب عليه أن ينفتح على باقي العلوم، كالاقتصاد والأنثروبولوجيا[1] والجغرافيا وغيرها، وأن يوظف الباحث في التاريخ مصادر متنوعة للحصول على معلوماته كالأدب والفن والرواية الشفهية... وعدم التقيد بالوثيقة الرسمية فقط.

I- الأنثروبولوجيا التاريخية:

تميزت هذه الفترة بمفهوم تاريخ العقليات، خلالها بدأ التوجه نحو دراسة السلوكيات الجماعية والتمثلات وغيرها، بإشراف "جاك لوغوف"، وقد تحكمت ظرفية الستينات وما عرفه العالم من تطورات أهمها تصفية الاستعمار. في هذا التوجه الجديد الذي اعتمد على الأنثروبولوجيا في أبحاثه، حيث اتجه الاهتمام خلال هذه المرحلة نحو تاريخ الأغذية، تاريخ الجسد[2]...، وكان لجيل الحوليات الثالث أثر في تغير اتجاه الخطاب التاريخي نحو تطور الكتابة التاريخية.[3] وقد اعتبر "روسو" المجتمع نتاجا شقيا للتاريخ وليس جوهرا له،[4] حيث منح تصورا لتاريخ أنثروبولوجي، إلا أنه لم يتم الكشف عن هذا التاريخ حسب "لبوفون" لأن التاريخ الأنثروبولوجي ظل مرتبطا بالشعوب البدائية.

لكن عندما لا يتوفر تاريخ للشعوب التي لا نجد لها كتابة أو مآثر، واذا كان هذا التاريخ يقدم لحضارتهم معنى، فمن الضروري البحث عنه في أمور أخرى كاللباس والتغذية والطقوس، والعلاقات بين الجنسين ومعتقداتهم، يمكن من خلال هذه العادات تعويض المؤسسات، عن طرق بناء تاريخ طبائع الناس وطرق عيشهم. وهذا النوع من الكتابات ليس حديثا.

منح "هيردوت" في كتابه وصفا دقيقا لعادات الفرس والمساجيتيين والليديين والمصريين، من أجل فهم الصراع القائم بين الاغريق والبرابرة.[5] ويعتبر كتاب "الملوك مدعو المعجزات" لمارك بلوك، نموذجا للأنثروبولوجيا التاريخية، وهذا

---

[1]- يقصد بالأنثروبولوجيا علم الانسان أو علم الأناسة، ظهر المصطلح بداية كمفهوم علمي بحت يهتم بالإنسان في بعده الطبيعي البيولوجي، وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر سيتوسع نطاق الأنثروبولوجيا إلى دراسة المؤسسات الاجتماعية والمنتجات الثقافية والتقاليد والقيم والنظم السائدة والمعتقدات والأعراف. انظر كتاب: رحال بوبريك، الأنثروبولوجيا نظريات وتجارب.

[2]- محمد حبيدة، **كتابة التاريخ قراءات وتأويلات**، دار أبي رقراق، الطبعة الأولى ،2013 ، ص.35.

[3]- يسميها دانيال روش ب"التاريخ الاجتماعي الثقافي".

[4]- محمد حبيدة، م. س.، ص.26.

[5]- نفسه، ص.27.

راجع بالأساس للطريقة التي عالج بها المشكلة المدروسة، عن طريق فنية المسلك غير المباشر الذي نهجه للوصول مباشرة إلى نسق التصورات المكتوم.1 وتطرق كل من مارك بلوك في كتابه "الحضارة المادية والرأسمالية" و"فرانكلان" في كتابه "تاريخ الحياة الخاصة" للمواضيع نفسها: التغذية واللباس والسكن، حيث أعطى "فرانكلان" نموذجا من الفهرسة للحياة اليومية، بينما ألف "بروديل" كتابا في الأنثروبولوجية التاريخية، لم ينحصر في احصاء الأشياء التي تملأ الكون، لكن كيف عملت التوازنات الاقتصادية الكبرى، وحلقات التبادل على صنع نسيج الحياة البيولوجية والاجتماعية وإبدالها. ومن خلال هذا يمكن تعريف الأنثروبولوجيا بكونها تاريخا للعادات: عادات غذائية، سلوكية وفيزيائية...

إن من ميزة الأنثروبولوجيا ممكن أن تكون في دراسة الظواهر التي من خلالها يشار إلى مجتمع معين أو ثقافة معينة،[2] حيث أخذت دراسة أصناف الحياة اليومية حيزا من الفكر التاريخي منذ أن كان يعتني بتقدم الحضارة، وضاقت أهميتها عندما عملت الدول الحديثة على تسجيل الذاكرة الجماعية لتبرر بالماضي سيطرتها على تراب معين وكيفية تنظيمها للمجتمع.3

II.الأنثروبولوجيا المغربية

اقترن ظهور العلوم الاجتماعية بالدول العربية بحاجة المستعمر لفهم البلد المراد استعماره، وكانت الانطلاقة مع الدراسات الاستشراقية التي عملت على فهم ماضي المجتمعات العربية معتمدين على النظرة الأوربية الاستشراقية. تليها كتابات المغامرين والرحالة والمستكشفين والتجار والمخبرين وغيرهم، ممن زاروا الشرق سواء لأغراض تجارية أو سياسية وغيرها.

ومع حملة بونابارت توافدت العديد من البعثات العلمية قصد استكشاف التراث الفرعوني، وبعد ذلك شمل اهتمام الباحثين كل العلوم الاجتماعية التي ستوظف في دراسة المجتمعات العربية. والقاسم المشترك بين هذه الدراسات أنها انطلقت من منظور استعماري ومركزية الغرب بالمقارنة مع الآخر المتخلف والمتوحش والتقليدي، بل كانت تنطلق من منظور يدعوا لفهم هذه المجتمعات مع تبديلها والسعي لتطويرها في اطار منظور غربي يبرر استعمار الدول، وهذا ما اعتبره "ماركس" و"انجلز" تبريرا لاستعمار الجزائر.

وقد أثر التصاق الأنثروبولوجيا والاستعمار، بشكل سلبي بظهورها بالبلدان العربية خصوصا بعد الاستقلال، حيث كان للظروف التاريخية لظهور الأنثروبولوجيا[4] والمشاريع الاستعمارية، أثر في اقصاء هذا العلم من المشاريع العلمية والبرامج التعليمية بالدول المستقلة.

تحت طلب المؤسسة الاستعمارية الفرنسية وبرعاية المقيم العام الجنرال "ليوطي"، تم توظيف

---

[1] - نفسه، ص.32.

[2] - محمد حبيدة، **كتابة التاريخ قراءات وتأويلات**... م. س.، ص.34.

[3] - نفسفه،ص.28

[4] - كان ينظر لها كعلم استعماري

الأنثروبولوجيا لاقتحام التراب المغربي عن طريق نشر المونوغرافيات، والأعمال الاثنوغرافية، التاريخية والاقتصادية والسوسيولوجية[1].

تعتبر الكتابات الأنثروبولوجية والتاريخية الموروثة عن الفترة الاستعمارية كنزا يجب استغلاله والاستفادة منه وعدم اهماله، وقد شملت الدراسات الكولونيالية كافة التراب الوطني جبالا وسهولا وصحارى ومدنا وقرى[2] وتنوعت مواضيعها بين دراسة: العقار، الزوايا، القبائل، الحرف، التقاليد، السحر، الطب، الزواج، اللباس والجيش[3]... كانت دراسات شاملة تفصيلية ومتنوعة بغرض الحصول على كم كبير من المعلومات لتسهيل مهام المستعمر، والدراسات الوحيدة المتوفرة حول المغرب والتي تطرقت لبعض القبائل والجهات والعادات، أنجزت بالمرحلة الاستعمارية، وهي دراسات أنجزت انطلاقا من معلومات أصلية، بناء على ذاكرة جماعية أو فردية، ملاحظة الميدان، أو من مخطوطات لازالت مجهولة،[4] ارث يحتم ضرورة الاستفادة منه واكتشافه حتى لو تم تجاوزه.

وقد عملت السلطات الاستعمارية على تأمين كل المعلومات العلمية حول البلد المراد استعماره، لتسهيل الغزو العسكري تمهيدا للتدخل السياسي والاداري للبلد المستعمر. وأعانت المعرفة العلمية المشروع الاستعماري انطلاقا من خلفيات ايديولوجية وسياسية تمنح الغرب مكانة المركز في مواجهة شعوب اتسمت بالبدائية والتخلف، متأثرة بالخلفية الفلسفية الفكرية للمدرسة التطورية، وينطبق نفس الشيء مع المغرب، فمع بداية الأطماع الفرنسية نحو المغرب، عملت الدوائر العلمية على بعث بعثات علمية لجمع المعلومات حول البنيات الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية للبلد. وفي البداية تم ارسال رحالة ومخبرين متقمصين هويات مختلفة، مثل" شارل دوفوكو" (1858-1916) الذي تقمص شخصية تاجر يهودي وطاف المغرب من شماله إلى جنوبه في مدة 11 شهرا[5]، ويعد نصه "التعرف على المغرب[6]" من أول النصوص الاثنوغرافية عن مغرب ما قبل الاستعمار(1912).[7] وسيعتبر هذا النص أول تقعيد نظري لما سيعرف ببلاد السيبة (البلاد الخارجة عن سلطة الدولة) وبلاد المخزن (البلاد الخاضعة لسلطة الدولة).[8]

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر برزت كتابات لرحالة تصف مختلف جوانب الحياة الاجتماعية للمغاربة، منها كتابات موليراس أوكوس (1855-

---

[1]- رحال بوبريك، **الأنثروبولوجيا نظريات وتجارب**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2019، ص.162.

[2]- نفسه، ص.162.

[3] نفسه،ص.163.

[4]- رحال بوبريك، م. س.، ص.163.

[5]- حسن رشيق، برنامج: ثقافة بلا حدود: القريب والبعيد في الأنثروبولوجيا بالمغرب.

[6]-De Foucauld, Charles, **Reconnaissance au Maroc, 1883-1884**, *Challamel* et cie ééditeurs, Paris,1888.

[7]- رحال بوبريك، م. س.، ص.163.

[8]- نفسه، ص.164.

1931) ،[1] الذي استعان في كتابة تقاريره بالدرويش وهو من كان يزور المغرب ويخبره بالتفاصيل.[2] نشر كتابه "المغرب المجهول. دراسة جغرافية وسوسيولوجية" عمل خلاله على وصف المغرب، وقد سهل تمكنه من اللغة العربية واللهجات المحلية مهمته في اكتشاف خبايا المغرب "المجهول"، وقال بأن سبب فشل رحلات الكثير من المستكشفين هو عدم معرفتهم للغة العربية وللإسلام.

ويمكن تصنيف الكتابات التي امتدت ما قبل القرن التاسع عشر، في خانة ما "قبيل الأنثروبولوجيا" حسب تصنيف André Adam ضمن حصيلته عن الدراسات السوسيولوجية والإثنوغرافية عن المغرب، هي عبارة عن نصوص ورحلات وصفية لا تلتزم بمنهجية ولا شروط البحث الاثنولولجي،[3] إلا أنها مكنت من توفير معلومات مهمة عن المغرب قبل الاحتلال الفرنسي الاسباني، وبالتالي تمكين الباحث من القيام بمقارنة بين المجتمع المغربي قبل الاستعمار وأثناءه وبعد الاستقلال.

تعتبر مدرسة الآداب بالجزائر أول مؤسسة تعتني بدراسة المجتمع المغربي، تحت اشراف "رني باسي" (1855-1924). وقد تأسست البعثة العلمية سنة 1904 بطنجة، ومعها تشكلت النواة الأولى الخاصة بالمغرب. ولكي تحصل على صبغة أكاديمية وضعت تحت وصاية "كرسي الدسوسيولوجيا الاسلامية" التابع لكوليج "دوفرانس بياريز"، وكان يتقلد الكرسي "ألفرد لوشاتولبي" (1855-1929)، حيث عمل على استقلالية البحث في المغرب عن مدرسة الجزائر، مدعوما من طرف اللوبي الفرنسي الذي يعمل على الحفاظ على مصالحه الاقتصادية بالمغرب ولا يرغب بتدخل الفرنسيين بالجزائر بما يقع في المغرب.

وأسند منصب ادارة البعثة العلمية "لجورج سالمون" ومن بعده "ميشوبلير" سنة 1907، وعملت البعثة على نشر أول الأبحاث في هذا الميدان بمجلة Archive marocaines[4]. وكان المسؤول الأول حول البحث الأنثروبولوجي بالمغرب هو البعثة العلمية، التي أصبحت مصدر معلومات الدوائر الاستعمارية قصد التمديد لاستعمار المغرب سنة 1912، وبعده لتسيير شؤونه الداخلية رافقت البعثة العلمية مراحل المشروع الاستعماري الفرنسي، كما طورت وسائل اشتغالها لتواكبه[5].

III- نموذج لاندماج الأنثروبولوجيا والتاريخ من خلال لباس وغذاء المغاربة زمن الحماية:

يقع البحث في اللباس والغذاء عند ملتقى التاريخ والأنثروبولوجيا وعلوم اجتماعية أخرى، وقد مكنت الكتابات الأنثروبولوجية التاريخية من

---

[1]- ازداد أوجست موليراس(1855-1931) بالجزائر وكان أستاذ اللغة العربية وآدابها.

[2]- حسن رشيق، برنامج: ثقافة بلا حدود: القريب والبعيد في الأنثروبولوجيا بالمغرب.

[3]- رحال بوبريك، م. س.، ص.164.

[4]- رحال بوبريك، م. س.، ص.165.

[5]- نفسه، ص.165.

توفير رصيد معرفي مهم حول غذاء ولباس المغاربة مرحلة الحماية، حيث اعطت تفاسير دقيقة حول المجتمع المغربي ووصفت لنا مميزات لباس وغذاء بعض المناطق المغربية، فهما يختلفان حسب جغرافية كل منطقة (جبلية.أمازيغية، صحراوية)، وأيضا حسب الطبقات الاجتماعية غني أوفقير، رجل أو امرأة أو طفل، وسأقتصر هنا على ذكر لباس الرجل دون غيره، لملاحظة الفرق بين مناطق المغرب.

1.3 لباس الرجل الرحماني والدكالي

عرف الرحماني بلبس التشامير، والجلابية والحايك[1] والسلهام، وأثناء العمل صيفا يلبسون التشامير ويمكن أن يضيفوا له الجلباب. وكانوا يضعون فوق رؤوسهم عمامة وما يميزهم أنهم يتركون وسط الرأس عاريا، ويرتدون بقدمهم البلغة.[2] أما الدكالي يلبس الحايك الصوفي وحده دون ثياب، وأحيانا يلبسونه فوق قميص، ويحاك التشامير من قبل النساء الدكاليات.[3]

2.3 لباس الرجل الأمازيغي

1. الأعبان:

اللباس المعتاد هو "أعبان" أو "حايك الصوف"، يلبس مباشرة فوق الجلد ونادرا ما يوضع فوقه "تشامير" وهو قميص طويل من القطن يربط بحبل حول الكتفين. وأعبان عبارة عن قطعة قماش بدون خياطة يتراوح طولها 10-20 ذراعا وعرضها 3-4 أذرع، يلف بها الجسد وتثبت بدون مشابك، ويصاحب لبس الحايك وضع حقيبة جلدية تتدلى من الرقبة "أقراب" وسكين طويل بصفيحة مستقيمة "جنوي".[4]"ولا يتوفر هذا الرداء على جيوب مما يستدعي حمل حقيبة، والشخص الذي لا يتوفر على الحقيبة يشكل الاستثناء، ويضع الرجل الأمازيغي قطعه النقدية في كيس صغير يدعى "تاكميست".[5] وارتداء اللعبان اللعبان لا يستوجب شده بحزام غالبا ما يكون عبارة عن حبل بسيط مصنوع من ألياف الدوم، لكن في بعض المناطق هناك من يستعمل الحزام ويتركونه مخفيا تحت ملابسهم.

بدأ لباس أعبان بالتراجع وحلت محله البدلة الحضرية، ويرجع هذا لكون الملابس القطنية المستوردة من أوروبا والملابس الجاهزة غزت السوق المغربية بأثمان ملائمة للأمازيغ، وإذا لم يرتدي الرجل أعبان فإنه يلبس "التشامير" ويضع فوقه قميصا يدعى "أقصاب" الذي يضع فوقه الجلابة "تجلابيت" ويضع فوقه السلهام.[6]

---

[1]- للمزيد من التفاصيل حول الحايك، انظر كتاب **"مراكش"** أدموند دوتي.

[2]- أدموند دوتي، **مراكش**، ترجمة عبد الرحيم حزل(مطبعة أبي رقراق، منشورات مرسم،2011)،ص.327.

[3] نفسه، ص.252.

[4]-Laoust, Emile, **Mots et choses berbères : notes de linguistique et d'ethnographie : dialectes du Maroc,** Société marocaine d'édition, Rabat, 1983, p. 127.

[5]- Idem, pp. 127-128.

[6]- Idem, pp. 128-129.

ب.2. السروال

لم يعرف عندهم السروال، لكن بعض الخيالة يستعملونه احتراما لأنفسهم، وفي بعض المناطق يرتدونه عريضا مخططا بالأبيض والأسود وكانوا يسمونه "تيتبان"، تصنعه النساء.[1]

3.3 لباس الرجل الصحراوي

1. الدراعة أو الدراعية

الدراعية هي زي خاص بسكان المناطق الصحراوية، وهو عبارة عن قميص طويل عرضه مترين (هذا العرض المبالغ فيه ينقص بطي الثوب على شكل مروحة عند تكرار لبسه)، مطوي على مستوى الكتفين، ويختلف طوله حسب لابسه، فالطُّلبة أو الطلبة، يرتدونه طويلا يصل إلى الأرض، أما المحاربين والشباب وكل من يتميز بحياة نشطة يرتدونه قصيرا. كما اختلف لون الدراعة حسب المناطق: ففي الشمال نجد اللون الأزرق النيلي، أما في الجنوب، فالأبيض أو الأزرق الشاحب هما الأكثر شيوعا.[2] ومن أجل الأناقة أو اتقاء لبرد الخريف، يكون لون ثوب الدراعية أزرقا وفوقه ثوب أبيض، ويمكن أن نرى الأزرق من الجوانب أو جهة الكوعين. وتلائم الدراعية المناخ الصحراوي، حيث تقي من حرارة الشمس ولسعات الذباب والبعوض، وتترك الهواء يمر بين الطيات. تستعمل أحزمة من شعر الحيوانات من أجل تثبيت الدراعية ونقص طولها خلال المشي، وقدر ثمن الدراعة ب 25 فرنك سنة 1934.[3]

2. السروال

جد عريض وقصير لا يتعدى الركبة، يتوفر على حزام قابل للضبط، يكون فضفاضا واسعا، مرتفعا من الخلف منخفضا جهة البطن ملائما لراكبي الجمال، حيث يسمح لهم بالتحرك بحرية لكونه فضفاضا، فهو يسمح له بركوب الرحل،[4] لأن السروال الضيق سيعيق تحركهم وقد يصيبهم بجروح. يصنع السروال عموما من "الشندورة " وهو قماش خاص بقبائل ترارزة المحاربة، والسروال المعد من القطن الأبيض يخصص للأمير، ويسمى حزام السروال خزاما أو "تيجيكريت".[5]

3. عمامة الرأس "هولي" :

طولها 3,50 متر، يلف بها الرأس وأحيانا يترك شعر الرأس حرا في القمة، يمكن أن يترك طرفها متدليا على الكتف، كما يمكن أن يغطى ببعضها الفم والأنف حتى أسفل العينين. وخلال 1950 اعتمد الشباب بالجنوب "هولي" من القطن المصبوغ بألوان متدرجة من النيلي القاتم إلى الأزرق الشاحب.[6]

---

[1]- Idem, p. 130.

[2] -Odette du Puigaudeau, « Arts et coutumes des Maures », Compte Rendu, pp.153-154.

[3]-Idem, p. 154.

[4] الهودج الخاص بالجمل

[5] - Odette du Puigaudeau, « Arts et coutumes des Maures », Op. cit., pp.154 -156.

[6] - Idem. p. 159.

4.3 لباس السلطان :

كان للسلطان لباسه الخاص، وكان يرتدي لكل مناسبة لباسا خاصا بها له دلالات معينة، فقبل الذهاب إلى المسجد أو الدخول لقاعة العرش، يضع السلطان على رأسه قبعة حمراء محاطة بقماش أبيض طويل يدعى العمامة، ويلف نفسه بثوب من الحرير يدعى "الكسا" يضعه فوق ملابسه. أما في حالة حفل مقام خارج القصر أو صلاة الجمعة أو حالة سفر يحمل السلطان القرآن أو دلائل الخيرات تأليف: محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر سليمان الجزولي السملالي، وبه أذكار للرسول ﷺ، ويحمل أيضا سيفا رفيعا مربوطا لصدره، ويضع سلهاما بقبعة ويضع وشاحا ويرتدي بلغة.

وإذا كان في القصر يضع طاقية حمراء، وتتألف ملابسه العادية من سروال فضفاض وقميص طويل وقفطان نوعا ما دافئ حسب الفصول، وكسوة طويلة تدعى الفرجية وجلباب من القماش الوطني، ويصنع السروال والقميص من ثوب معروف يدعى ب"مطيب" يحاك بسلا. [1] وبما أن المذهب السني لم يكن متعصبا حيث أمكن للسلطان أن يضع خاتما مرصعا بالأحجار القيمة كالألماس والزمرد والياقوت الأحمر.

وكانت الطاقية بالعمامة من الأهمية بمكان، فالأمراء وأعضاء الجناح الملكي كانوا لا يرتدونها إلا بترخيص خاص يعطى من طرف جلالته، وكانت العريفة هي المكلفة بتنظيف الملابس الملكية يساعدها مجموعة من الخدم الذين يعتبرون هذه المناسبة تظاهرة مهمة. وكان السلطان محمد الخامس يوزع أثوابا على رعاياه الفقراء كل جمعة، لكن بعد توليه الحكم تغيرت طريقة اللبس حيث بدأ بارتداء بدلات عصرية إضافة للزي التقليدي الخاص بالمناسبات الدينية.[2]

4.3 لباس اليهود

اعتمد اليهود ملابس تشبه جيرانهم المغاربة المسلمين بتغييرات بسيطة، حيث اتخذ الرجال الألوان الداكنة: الأسود والأزرق الداكن. وكانوا يلبسون أخنيف (السلهام)، ويضعون غطاء الرأس (الشاشية) فوق رؤوسهم التي توحي بهويتهم اليهودية. واعتمد الرجال بجنوب مراكش شاشية بلون أزرق بها حبيبات بيضاء،[3] وكان الرجل اليهودي يحمل معه حقيبة تعرف باسم "تفلين" Tefillin، وهي خاصة بالرجال تحمل خلال المناسبات والأعياد وأثناء الذهاب للصلاة. وتوجد باللون الأحمر والأسود والأخضر، مزينة بالخيط الذهبي أو الفضي وهو ما يعرف ب"الصقلي"، وهو مطرز بأشكال عديدة: طائر، وردة، نجمة داوود، وعبارات باللغة العبرانية. وتبرز هذه التطريزات انتمائهم الديني إضافة إلى مدى جمالية الصناعة

[1]- Mohamed el Alami, **Le Protocole et les usages au Maroc des origines à nos jours**, Dar Elkitab, 1971, p.100.

[2]- Idem, p.101.

[3]- Splendeurs du Maroc, Ivo Grammet et Min de Meersman, p. 174.

التقليدية، وكان يستعملها أهل فاس وطنجة ومكناس والدار البيضاء.

ونجد بالأرشيف معلومات مهمة عن المنسوجات والأحذية التي دخلت للمغرب زمن الحماية، وكنموذج ما عرفه لباس الرجال، حيث أصبحوا يرتدون سراويل طويلة وضيقة، وقمصان بأكمام وألوان مختلفة، بها أزرار من الأمام. كما ارتدوا أيضا الجاكيت والمعطف، والأحذية العصرية عوض النعالة، وجوارب وربطات عنق. وقد أقبل على هذه الأزياء بشكل أكبر أبناء الطبقات العليا والموظفون في الادارات المرتبطة بالفرنسيين،[1] أما الجنود فقد لبسوا سروالا وقميصا وحافظوا على ارتداء الطربوش، وحذاء عسكريا من الجلد مرتفعا حتى الساقين به أحزمة، كما ظهرت خلال الثلاثينات أحذية عصرية وأنيقة بالسوق المغربية، خاصة بالنساء والرجال والأطفال، وكانت الأحذية الخاصة بالرجال مصنوعة من الجلد، وتكون إما بجلد لامع أو دون ذلك، منها المرتفع فوق الكعبين ومنها أسفلهما، تتميز بمقدمتها الحادة أو المسطحة وبها كعب قليل الارتفاع، ولها أربطة أنيقة. وكان للجنود أحذيتهم المرتفعة حتى الساق وقد ساعدتهم لكونها لصيقة بالقدم أثناء عمليات الكر والفر.

[1] محمد بوسلام، **اللباس التقليدي في المغرب الجذور والانتاج والأصناف والتطور**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص.234.

الوثيقة 21: بعض الأحذية العصرية الخاصة بالرجال[2]

2.3 سمات غذاء مغاربة الحماية

تعرف المائدة المغربية تنوعا في الأطباق والمواد الغذائية، تنوع تأثر بالظروف السياسية والاقتصادية للبلاد، وتختلف عناصرها من منطقة إلى أخرى وحسب الانتماء الاجتماعي لكل أسرة.

العصيدة أو التشيشة[3]: عبارة عن شعير يطهى في الماء[4] ويحرك بغصن شجرة إلى أن ينضج، وعندما يطهى جيدا يصب فوق التشيشة[5] الزيت أو الزبدة، أو تترك حتى تبرد ويعد منها الصيكوك وهو عبارة عن كسكس مفروك يطهى في البرمة والكسكاس، وبعد طهيه يوضع في وعاء ويترك ليبرد

[2] C 263, Tissus, chaussures,.... ; 1919 – 1933, Sce, du commerce et de l'industrie, importation du chaussures, Le commerce de tissus et habillement , PROUST MICHEL.

[3] تسمى بالتشيشة لأنه عند طهيها في القدر تصدر أصواتا مثل اسمها

[4] ادمون دوتي،م،س،ص.330

[5] حسب دوتي، فهي حساء ثقيل.

ثم يصب فوقه اللبن ويؤكل باليد أو ملاعق صغيرة[1]، ونجد أيضا كسكس الذرة "باداز".

الصيكوك: وهو غذاء شعبي ينتشر في البوادي ويتناول باردا، ويحضر بالكسكس المفروك المطهو في البرمة والكسكاس[2] وهو عبارة عن إناء مثقب القاعدة يوضع به الكسكس وغيره ليتبخر، يكون فوق البرمة التي تكون مليئة بالخضر واللحم والتوابل[3] إذا تعلق الأمر بطهي الكسكس- الطعام، أو بالماء فقط إذا أريد إعداد الصيكوك أو تبخير شيء ما كاللحم مثلا، ثم يوضع في تزلافت[4]- وعاء، ويترك يبرد، وفي الأخير يسكب عليه اللبن، يؤكل إما باليد أو ملاعق صغيرة.[5]

الإسفنج: ينقى القمح ثم يغسل ويوضع تحت الشمس حتى يجف، ثم يطحن ويغربل[6] مرة أولى وثانية، ثم يؤخذ الدقيق الرقيق الصافي ويوضع في إناء يضاف له قليل من الملح والخميرة والماء ويخلط الجميع، يعد منه عجينة رخوة متماسكة، يغطى بمنديل ويترك فترة قليلة ليختمر العجين، ثم توضع المقلاة فوق النار ويصب بها الزيت. تمرر قطعة صغيرة من العجين بين اليد اليمنى واليسرى، ويجب الانتباه إلى عدم سقوطها أرضا، وتستمر العملية إلا أن يصبح العجين متماسكا، ويضغط عليها بين أصابع اليد (السبابة والإبهام) وتخرج من بينهما كويرة صغيرة تفصل بسرعة عن بقية العجين، ثم تشق من الوسط بسرعة حتى تصبح مثل الدملج، وتوضع فوق الزيت المغلي لتتحمر، ويسحب الاسفنج بعصا رقيقة من الحديد تكون معقوفة الرأس تسمى (السفود) بعد أن يصير محمرا ويترك في إناء لتتقاطر منه بقايا الزيت.[7] وبعد طهي الإسفنج يوضع على بعض قطعه الزبدة وهي ساخنة مرفوقة بأكواب من الشاي الساخن.[8]

---

[1] [1]-Laoust, Emile, Mots et choses berbères : notes de linguistique et d'ethnographie : dialectes du Maroc, Société marocaine d'édition, Rabat, 1983, p.95.

[2] من الأمثال الشعبية التي تحدثت عن الكسكاس وأهمية اختراعه نجد:

حاجة خدموها الفهامه

فمو في راسو

وعينو في كرش مو

[3] أحمد زيادي، **الأحاجي الشعبية المغربية مجالاتها وبنياتها ووظائفها ومقارناتها وخصائصها**، دار المناهل، الرباط، 2007، ص.155.

[4] يقصد به وعاء طيني

[5]-Laoust, Emile, **Mots et choses berbères : notes notes de linguistique et d'ethnographie : dialectes du Maroc**, Société marocaine d'édition, Rabat, 1983, p. 95.

[6]- أي يعزل الدقيق الصافي من النخالة إما بثوب أبيض رقيق أو بأداة دائرية مكونة من إطار خشبي ذو قاعدة تصنع من الجلد أو النسيج أو شبكة سلكية بثقوب يختلف قطرها تسمى الغربال.

[7]-Laoust, Emile, Op. Cit., p. 99.

[8]- محمد بن أحمد اشماعو، **المجتمع المغربي... كما عرفته خلال خمسين سنة 1350-1400هـ**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1980، ص.13.

الشباكية: تعد في المناسبات من عجينة رخوة من الدقيق الأبيض مع الخميرة، ثم يسخن الزيت في المقلاة ويفرغ فيه العجين بواسطة قمع يغلق من رأسه حتى لا يسكب العجين، ينساب العجين من القمع على شكل خيوط يتفنن الطاهي في تشبيكها دائريا وتترك لتحمر ثم تغطس في العسل.[1]

البغرير: يعد من عجينة رخوة من دقيق وماء دافئ وخميرة، ويترك ليختمر، ثم يوضع الفراح فوق النار ويدهن بالزيت بواسطة اليد، وبعد ذلك يفرغ العجين بواسطة "مغرفة" ويترك ليطهى، وهكذا إلى أن ينتهي الخليط. يؤكل مع الزبدة الذائبة والعسل،[2] ولكي تكون نتيجة البغرير جيدة، يجب احترام عدة طقوس منها عدم رؤيته من قبل الزوج أو أشخاص آخرين ماعدا من ستقوم بطهيه، وأن لا تكون المرأة حائضا، وأن تكون راغبة في إعداده، ودرجة إتقانه رهينة بعدد الثقوب الموجودة بالبغريرة، فكلما كانت كثيرة كانت جيدة مما يدل على أن المرأة تتقن الطهي بشكل جيد وتسمى بالدارجة المغربية بالحادكة أو الكوطة (مع تفخيم الكاف) أي الشاطرة في أشغال البيت.

4.طعام السجناء المسرفين

وللسجناء طعامهم الخاص كل حسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي لها، فالمسرفين حسب تعبير "السوسي"، كانوا يشترون السكر والزبدة والشاي والزيت والدجاج كل يوم واللحم كلما ذبحت ذبيحة،[3]" فهدى ب (مهماه)[4] يدور باللسان أو بالقلب من ثور بين البيوت ليجد من يكويه فيهما بكية غلائه، وهناك أناس ينفقون في هذا السبيل بغير حساب، ويتبادلون ضيافات وإكرامات،... كبناني الكريم،... وكابن بركة، وكالعلام الكتاني".[5]

وكان المعتقلين الميسورين يحصلون على المؤن التالية "... السكر 80 غراما لليوم بعدما كانت من قبل (100 غراما)، معها الكافي من الأتاي والقهوة، ونصف كيلو من الصابون شهريا، وغاز الاستصباح أو للمدافئ والمطابخ،... ثم مربى، قدر خاص لكل واحد، فيه الكفاية وما فوق الكفاية، وقد كنى نعطى الحليب كثيرا من النوع المصبر، ثم من النوع السائل المحفوظ في العلب،... بل كان الشاوي يأتينا بالحليب الجديد من بقرات هيأها".[6]

هيأها".[6]

1. الشـــاي

عرف الشاي بكونه يزيل العياء ويطرد صداع الرأس، لذلك كان يستهلكه المغاربة بالنعناع، أو ما يسمى عند العامة "لقامة"، كما كان يشرب مع الدخان أثناء مزاولة عمل ما كما هو حال الصناع والحرفيين. إضافة إلى ذلك، فصينية الشاي ومجالس تحضيره كانت فرصة للاجتماع

---

[1] -Laoust, Emile, Op. Cit, p. 99.

[2] Ibid, p. 99.

[3]- نفسه، ص. 190.

[4]- اسم حارس السجن.

[5]- مختار السوسي، **معتقل الصحراء**، مطبعة الساحل، الرباط، الطبعة الأولى، 1982، ج.1، ص. 191.

[6]- نفسه، ص. 189.

والمحادثة،[1] ويشرب الشاي من قبل الأسر الفقيرة مرتين في اليوم، أما الأسر الغنية فتشربه أربع إلى خمس مرات وكلما استقبلوا ضيفا، [2] ويقدم الشاي للزائر في أي ساعة من ساعات النهار، وقبل كل وجبة، وخلال تناول الطعام للهضم وفتح الشهية لأطباق جديدة.[3] وقد ذكر الشيخ "عبد السلام الزموري الفاسي" أوقات شرب الشاي وتحبيب تقديمه على الكسكس، أما الشواء فيستحسن أن يكون الشاي مصاحبا للأكل، وعدد الكؤوس بعدد الناس الذين يرغبون بشربه. وذلك في أرجوزته التالية:

خذه، فدتك النفس، من قبل الطعام
أو بعده فما عليك من ملام
إلا إذا كان الطعام كسكسا
فكل من أخره فقد أسا !
وقت الصباح عندهم مستحسن
لكنه بعد العشاء أحسن !
وشربه على الشواء والكباب
يفتح للشهوة منه ألف باب !
وقد جرى العمل في الكؤوس
بأن تكون عدد الرؤوس ![4]

I. آداب الأكـل

اهتم "ايميل لاووست" بدراسة آداب الأكل لدى المغاربة، خصوصا الأمازيغ، وقد فصل في كتابه" Mots et chose berbère" هذا الأمر، كما أن ادمون دوتي "مراكش" تطرق لنفس المسألة لدى الدكاليين والرحامنة، وأدرج بعضا مما ذكروا.

ومن آداب الأكل لدى المغاربة أن يتم غسل اليدين قبل تناول الطعام. ولغسل الأيدي طقوس خاصة، حيث يأخذ الشخص المكلف بغسل الأيدي وعاء الغسل الممتلئ بالماء يسمى (الطست)، ويبدأ من اليمين إلى اليسار، يغسل الضيوف أيديهم إلى الكوعين مرددين كلمة (أعزك الله – أعتذر)، حتى يصل دور آخر شخص لأخذ المقراج[5] بدوره ويغسل ويغسل يدي الشخص المكلف بغسل الأيادي هو الآخر، أما عندما يكون الزائر من الأعيان يضيفون إلى الماء الصابون ومنديلا للتنشيف.[6] ومن عادة المغاربة في شرب اللبن، عدم رد اللبن اذا عرض عليهم حتى لو كان في وعاء غير نظيف،[7] ومن علية القوم فيقتصر على وضع أصبعه بالوعاء تيمنا

---

[1]- بوجمعة رويان، " الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة"، جوانب من التغذية لدى المغاربة خلال فترة الحماية، **مجلة أمل**، العدد،16،1999، صص.131-148.

[2]- عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي، **من الشاي إلى أتاي العادة والتاريخ**دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة: بحوث ودراسات رقم 50، الرباط، الطبعة. الثانية، 2012، ص. 154.

[3]- روم لاندو، **أزمة المغرب الأقصى**، ترجمة اسماعيل علي، حسين الحوت، راجعه عبد العزيز الأهواني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1961، ج.1، ص.41.

[4]- التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، 1406، المحمدية، 1986، المجلد الثاني، ص.320.

[5]- إبريق الماء.

[6]- Laoust, Emile, Op. Cit., p.86.

[7]- ادمون دوتي، م. س.، ص.147

ببركته.[1] كما تحدث ادمون دوتي في كتابه "مراكش" عن كون المغاربة يتناولون الغذاء بالأسواق ويقارنهم بالجزائريين الذين يرون أن هذا فعل معيب،[2] ومن عادة الرحامنة عدم تناول شيء بعد استيقاظهم، باستثناء أيام الحصاد حيث يتناولون القليل من الكسكس صباحا حوالي الساعة التاسعة صباحا، ويتناول الفقراء الدشيشة. ويعتبر دوتي أن الدكالين باستعمال المغارف في طعامهم بدءوا في اتباع "النموذج الأوربي الصحيح[3]" حسب تعبيره، أي أن الأوربيين يعملون يعملون على تطوير الشعوب البدائية.

ساهمت الكتابات الأنثروبولوجية التاريخية في فهم المجتمع المغربي عن طريق توفير كنز معلوماتي مهم يجب الاهتمام به والحفاظ عليه، حتي اذا لم يتم توظيفه بشكل معلن، فبفضل الكتابات الأنثروبولوجية نستطيع فهم التطورات التي عرفها مجتمع معين عبر التاريخ وكيف تتغير العقليات. فخلال الحماية الفرنسية، بدأت عقلية المغاربة تتغير وتتجرأ على تقبل الجديد والجريء في كل شيء، في الوجبات الغذائية وطرق الأكل وفي المشروبات، واستعمال منديل على الأرجل حفاظا على نظافة الثياب، وارتداء المرأة للباس لم تكن تجرء عليه من قبل.

ومما يؤكد البوادر الاولى لتغير اللباس المغربي، ارتداء الجنود المغاربة للزي العصري بعد انخراطهم في صفوف الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الاولى، سلمتهم اياه السلطات العسكرية المكلفة بالتموين، ويتكون هذا الزي من قميص وسروال ومعطف وربطة عنق وقبعة، ونتيجة لشدة المنافسة تعرضت الصناعات النسيجية للإفلاس.

والزي الذي كان ينتشر في عموم مناطق المغرب بالنسبة للرجال جلباب قصير لا يتجاوز الركب، له أكمام عريضة وقب كبير يضعون فيه ما اشتروه يوم السوق من زيت وسكر وغيره، مصنوع من ثوب خشن، يرتديه الكبير والصغير، وكان عموم المغاربة حافي القدمين سواء النساء أو الرجال والأطفال.

كما كانت الموائد المغربية قبل الحماية موائد ذكورية فلم يكن يسمح للنساء بالاختلاط مع الرجال حول الموائد، وكان رب الأسرة يتناول الطعام لوحده ويبدأ الأكل هو أولا ثم بعد انتهائه تأكل الأم مع الأولاد، وبدخول الأجنبيات إلى المغرب وتناولهم الطعام إلى جانب الرجال، جعل هذا الأمر نساء الأسر الغنية التي كانت تستقبل الأجانب في بيوتها تتقبل انضمام النساء لجلسات الرجال وتناولهم للطعام إلى جانبهم دون حرج.

---

[1] - نفسه،ص.148.

[2] - نفسه،ص.154.

[3] - نفسه، ص.249.

الأنثروبولوجيا التاريخية

- الدكتورعزالدين زرياط
- الطالبة الباحثة حفيظة العروصي المرضي
- الطالبة الباحثة دليلة جبالة سعودي
- المملكة المغربية
- جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس

مقدمة:

تعتبر الأنثروبولوجيا التاريخية من بين أهم التخصصات العلمية التي تهتم بدراسة التمثلات المعاشية الواقعية لدى الإنسان، والبحث في مختلف الأسباب التي تؤدي إلى بروز الظواهر الاجتماعية، تستمد أهميتها من كونها تعبير عن مرحلة تطورية للكتابة التاريخية، وسياق من سياقات التناهج بين العلوم الإنسانية والاجتماعية ، لذلك فمقاربة الأنثروبولوجيا التاريخية لن تتأتى إلا بالبحث في ماهية الأنثروبولوجيا وأنواعها و تحديد سياقات ومسارات التطور التي أدت إلى ظهور هذا العلم في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

الأمر الذي يضع الباحث والمتتبع لمسارات هذا العلم وتحديد أنساقه أمام العديد من الإشكاليات التي من شأن الإجابة عنها تيسير الفهم وتسهيل التتبع ، ولعل أولى هذه الإشكالات تتمحور بالأساس حول التحديد المفهومي لكل من الأنثروبولوجيا والتاريخ مرورا بالتفصيل في سياقات ومبررات التقارب بين العلمين ، وصولا إلى الإجابة على سؤال الكيف في مسألة التطبيق. وهو مانعبر عنه بالأسئلة التالية:

- ماهي الأنثروبولوجيا والتاريخ؟
- ماهي سياقات ومبررات التقارب بينهما ؟
- كيف وظفت جوسلين الداخلية الأنثروبولوجيا التاريخية في دراسة مرايا الأمراء؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات ومقاربة الموضوع وفق منهجية علمية تتوافق وتفاعلات القضية وتحترم أبعادها، ارتأينا تقسيم العرض إلى ثلاث محاور رئيسية:

1. مفهوم الأنثروبولوجيا والتاريخ
2. الأنثروبولوجيا التاريخية: سياقات النشأة ومبررات التقارب
3. الأنثروبولوجيا التاريخية من خلال دراسة جوسلين دخلية "لمرايا الأمراء"

ولإضفاء الصبغة العلمية على القضية وجب مقاربتها وفق ما جادت به المصادر والمراجع التي اهتمت بالموضوع أهمها الشماس عيسى، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا وبيرني ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ إضافة إلى العديد من المقالات المحكمة التي جمعت شتات القضية وفصلت في ماهيتها.

أكيد أن مقاربة الأنثروبولوجيا التاريخية تحتم على الباحث أولا التعريف بالأنثربوبولوجيا والتاريخ والوقوف عند اهتماماتهما ورصد مختلف فروعهما التي تنسجم مع القضية موضوع الدراسة.

1- مفهوم الأنثربولوجيا والتاريخ:

يشتق لفظ الأنثروبولوجيا "Anthropologie" من لفظ يوناني مكون من مقطعين "Anthropolos" ومعناها الإنسان، ومن لوجوس "logos" بمعنى "علم" وبذلك فإن معنى اللفظ هو "علم الإنسان"[1]، أما على المستوى الاصطلاحي فإن أوسع تعريف اعتبر «الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان وأعماله» [2]، وتعرف أيضا على أنها علم يهتم بدراسة الإنسان باعتباره كائن عضوي يعيش ضمن مجتمع تؤطره أنظمة وأنساق اجتماعية تميزها ثقافات محددة، وبذلك فالأنثروبولوجيا هو علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، لأنها تهتم بدراسة الإنسان ضمن محيطه باعتباره كائن اجتماعي بطبعه، كما تدرس مختلف أبعاده الفيزيائية والاجتماعية والثقافية[3].

لا غور أن ما قيل يحيل إلى أن الأنثروبولوجيا علم المقاربة الشمولية للإنسان في دراسته من مختلف الخصائص البيولوجية والثقافية في الزمان والمكان، وهو ما عبرت عنه الأنثروبولوجية الأمريكية ماركريت ميد « نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية عبر الزمان وفي سائر الأماكن ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقايس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط تفسير نتائج دراستنا في إطار نظريات التطور، أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر»[4].

تنقسم الأنثروبولوجيا إلى قسمين رئيسيين الأولى يصطلح عليه الأنثروبولوجيا الفيزيائية أو الطبيعية وهو صنف يهتم بدراسة الإنسان بيولوجيا ويتتبع مختلف تطوراته، ليبحث عن الخصائص الباطنية لجسم الإنسان التي تعتبر مفاتيح للوراثة الجنية للإنسان[5]، وهذا النوع يقبل الدراسة سواء على مجتمعات حية أو على الهياكل العظمية، وبذلك فهي تبحث في السمات العضوية ومختلف التغيرات التي تطرأ عليها في تركيز على الفرد باعتباره نتيجة لعملية عضوية[6].

أما الشق الثاني من الأنثروبولوجيا فتتعدد فيه التسميات والفروع ولأن موضوعنا في هذا العرض يرتبط بالأنثروبولوجيا التاريخية فسوف نحاول وبإجاز الوقوف على الأنواع التي لها

---

[1] لشماس عيسى، **مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 2004، ص.12.

[2] - بيرني ج بيلتو، **دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ**، ترجمة كاظم سعد الدين، منشورات بيت الحكمة، الطبعة الأولى، بغداد 2010م، ص.12.

[3] - الشماس عيسى، **مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا**، م. س.، صص. 12-13.

- فهيم حسين، **قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الانسان**، منشورات عالم المعرفة، فبراير 1986م، ص. 14.[4]

[5] - بيرني ج بيلتو، **دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ**، م.س، ص 62-63.

[6] - نفسه، ص. 66.

ارتباط بهذا التخصص، وبما أن الأنثروبولوجيا التاريخية هي مجال يجمع بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والتاريخ فلابد من التفصيل في ماهية كل منها.

فالأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذ منهج النظم الاجتماعية كالعائلة والقرابة والتنظيمات السياسية والإجراءات القانونية والعبادات الدينية، أي أنها تدرس العلاقات بين مختلف النظم الاجتماعية سواء عند المجتمعات القديمة من خلال دراسة آثارها المادية والفكرية، أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة حيث تعتمد على الملاحظة المباشرة ورصد مختلف أنساقها وتفاعلاتها الخاصة والعامة[1].

أما الأنثروبولوجيا الثقافية فتهتم بدراسة الإنسان باعتباره عضو في مجتمع يتميز بثقافة خاصة، وعليه أن يلتزم في سلوكه وفق القيم والعادات المعمول بها فيه، كما عليه أن يتبع نظامه ويتحدث لغته، وعليه يدرس الأنثروبولوجي حياة الإنسان وسلوكه النابع من ثقافته وهذا النوع على غرار الأصناف الأخرى يمكن أن يقارب الشعوب القديمة أو المعاصرة بهدف فهم الظواهر الثقافية وتحديد أنساقها لتفسر مختلف التطورات الثقافية في مجتمع معين[2].

تعتمد الأنثروبولوجيا بنوعيها الاجتماعية والثقافية على جمع المادة إضافة إلى البحث الميداني في المجتمعات المعاصرة، وذلك بالعيش فيها لشهور من أجل مراقبة طرق الحياة، حيث يعمل على مقابلة مقدمي المعلومات وكذا المشاركة الميدانية[3]، ويحاول الأنثروبولوجي المراقب والمشارك نيل احترام الناس المحليين وكسب ثقتهم من خلال إلمامه باللغة المحلية، أما المشاركة فينهجها من أجل إدراك فعلي لمختلف تمفصلات السلوك الإنساني لأن المعاني العاطفية لا تدرك بالمشاهدة وإنما بخوض التجربة أي الممارسة[4].

بيد أن الحديث عن التاريخ والتفصيل في ماهيته يسوقنا ضمنيا إلى الوقوف على ما أبدعه ابن خلدون في مقدمته، إذ يعتبر تعريفه من أدق ما قيل حول هذا العلم « أما بعد فإن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، [...] إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال[...] وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق[5] » .

وتعتبر عبارات ابن خلدون أعمق فهم للتاريخ حيث أكد أن هذا العلم لا يقتصر على

---

[1]- الشماس عيسى، **مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا**، م. س.، صص. 111-112.

[2]- م.ن، ص 93.

[3]- بيرني ج بيلتو، **دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ**، م. س.، ص. 66.

[4]- م.ن، ص 69.

[5]- ابن خلدون عبد الرحمان، **مقدمة ابن خلدون**، منشورات فضاء الفن والثقافة، المغرب، ص. 9.

دراسة الحروب والحكام والدول، وإنما هو بحث وتدقيق في جميع الظواهر المرتبطة بالإنسان سواء كانت سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية ...، وهكذا اعتبره فهم وإمعان في طبائع البشر وبحث عن الأسباب والدواعي وتحليلها واستخراج نتائجها للعظة والعبرة[1]. تميز هذا العلم بتجدد واضح مع مدرسة الحوليات لكنه في الآن ذاته حافظ على أصوله وتقاليده[2]،وهو ما أدى إلى ظهور تقاطعات مع العديد من العلوم الاجتماعية وعلى رأسها الأنثروبولوجيا.

2- الأنثروبولوجيا التاريخية: سياقات النشأة ومبررات التقارب:

إن الحديث عن الأنثربولوجيا التاريخية هو حديث في جوهره عن مجال تتعدد فيه التخصصات بل هو دراسة تجمع ما بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والتاريخ[3]، لذلك فإن البحث والتفصيل في هذا التخصص يقتضي التفصيل أولا في مختلف التطورات التي عرفها العلمين.

تمحور مشروع الحوليات 1929م أساسا على إغناء التاريخ باتصاله بالعلوم الاجتماعية، لأن فهم الظواهر المجتمعية لا يتأتى إلا بإدراك العمليات المعقدة للتحول على مر التاريخ [4]. وقد شكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بداية تقارب حقيقي بين التخصصين خصوصا مع الأنثروبولوجية البنيوية التي أطلقها كلود ليفي ستراوس، وهو ما أدى إلى ظهور "الأنثروبولوجيا التاريخية " التي استطاعت في وقت قصير أن تحتل مكان التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي سيطر وهيمن منذ الخمسينيات[5].

بيد أن التقارب بين الأنثروبولوجيا والتاريخ حمل بين ثناياه في بداية الأمر نوعا من المفارقات وسوء الفهم والغموض، أثارت نقاشات حادة، انقسم على إثرها الدارسون إلى فئتين الأولى ترى عدم وجود علاقة معرفية بين العلمين ، فيما الثانية اعتبرت أن العلمين لهما نفس المشارب ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ولم يتم تجاوز

---

[1] - مؤنس حسين، **التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ ماهيته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند اهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ**، منشورات دار الرشاد، الطبعة الثانية، القاهرة 2001م، ص.15.

[2] - لوغوف جاك، **التاريخ الجديد**، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2007، ص. 77.

[3] - Jean-Claude Schmitt, « Anthropologie historique », Bulletin du centre d'études médiévales d'Auxerre | BUCEMA [En ligne], Hors-série n° 2 / 2008, p.1.

[4] - Ibid, p.2.

[5] - Marin Richard. «La nouvelle histoire et Lévi Strauss». Caravelle. **Cahiers du monde Hispaniques et luso-brésilien**, P.resses Universitaires du Mirail, 2011, p.1.

الأمر إلا بعد إماطة اللثام عن الأساليب والقضايا التي يعالجها هذا التخصص[1].

ومن المفارقات الواضحة بين التخصصين هو أن الأنثروبولوجيا مفرغة من البعد التاريخي وتجعل من مفهوم "التحول" نظام منطقي دون مراعاة للزمن التاريخي وتغيراته وخصوصيات كل مرحلة، لكن دراسة الأنثروبولوجيا لهياكل القرابة والأساطير والعقليات جعلت هذا التباين أقل حدة خصوصا من خلال دراسة ليفي ستراوس للأساطير حيث أكد أن كل حضارة إلا ولها نفس العناصر الأساسية في عدد من السلوكيات، وبذلك فإن التنوع الثقافي يحمل في عمقه إشارات على الوحدة النفسية للبشرية[2]. كما يؤكد في دراسته "النشاط اللاواعي للعقل" أن هناك نماذج متطابقة في كل المجتمعات[3].

عكس المؤرخ الذي لا يعتمد على النهج الوراثي وبذلك يؤكد ستراوس أن هذا التطرف في المنهج التنظيمي للتاريخ جعل الأنثروبولجيا تتفوق عليه، لأنها تتمكن من الوصول عبر نهجها البنيوي إلى اللاوعي في الممارسات الاجتماعية، بينما يكتفي التاريخ بتنظيم التعبيرات الواعية[4]. وهو ما يظهر طموح ليفي ستراوس في ترجيح كفة الأنثروبولوجيا على التاريخ وكذا نقده للتاريخ والمؤرخين، لكنه سرعان ما تراجع عن هذا التوجه وعبر عن اهتمامه بالتاريخ وأكد على ضرورة الاضطلاع على ماضي السكان قبل دراستهم[5].

لكن رغم الاختلاف في التوجه إلا أن التقارب بين التخصصين سرعان ما بدأت تلوح ملامحه الأولى في نهاية الخمسينيات، وتم التأسيس لعلاقة جديدة بينهما[6]، في ثورة معرفية تشكل خلالها التاريخ الفكري تأثرا بجاذبية البنية من قبل المؤرخين[7]، وبذلك جاء الانفتاح على تاريخ "العقليات" الذي جعل المؤرخين أكثر قابلية للمقترحات القادمة من الأنثروبولوجيا، وعليه انهارت الهيمنة التاريخية القائمة على دراسة المؤسسات السياسية وتفاعلات التاريخ الحدثي، وبدأ الترويج للقضايا الثقافية والاجتماعية مع التركيز على طرق التفكير والشعور[8].

هكذا حتمت الأنثروبولوجيا على المؤرخين التفكير في محتويات البنية والوظائف في محاولة لفك القواعد الضمنية للأداء الاجتماعي،[9]، لذلك لجأ المؤرخ إلى البحث عن خصوصيات البنية الاجتماعية، الذي يجعل للأنثروبولوجيا مساهمة قيمة في التاريخ . حيث عمد المؤرخ إلى طرح

---

[1] - Marin Richard.« La nouvelle histoire et Lévi Strauss», p.1.

[2] - Jean-Claude Schmitt, « Anthrop.ologie historique », pp.2-3.

[3] - Marin Richard.« La nouvelle histoire et Lévi Strauss», p.1.

[4] - Ibid, pp.1-2.

[5] - Ibid, p.2.

[6] - Ibid, p.3.

[7] - Marin Richard,« La nouvelle histoire et Lévi Strauss», p.4.

[8] - Jean-Claude Schmitt, « Anthropologie historique historique », p. 4.

[9] - Ibid, p.4

مجموعة من التساؤلات عن خدمة المؤسسات والطقوس والمعتقدات من أجل فهمها والكشف عن رمزيتها واستراتيجيتها المخفية والمعلنة، وكذا محاولة تقييمها وحصر تلك التي لها القدرة على الانتقال إلى قيم. مما أسهم في الاتصال بين العلمين وفتح الطريق أمام مشاريع جديدة وأخرى متجددة[1].

دشنت مرحلة السبعينات من القرن الماضي مرحلة التاريخ الجامعي الذي اصطلح عليه "العقليات" والذي أعلن عن التداخل الحقيقي بين الأنثروبولوجيا والتاريخ مما جعل التاريخ يصل إلى جمهور أكبر[2]. يؤكد Angré Barguiére أن دراسات الأنثروبولوجية من قبل المؤرخين كان لها أربعة اختصاصات رئيسية خلال هذه المرحلة[3]:

- الأنثروبولوجيا المادية والبيولوجية (أي الاهتمام بتاريخ العادات الغذائية وأنماط السكان وتاريخ المواقف اتجاه الجسم والبيئة البيولوجية).
- الأنثروبولوجيا الاقتصادية (الاهتمام بالتقنيات الزراعية، وآليات اقتصاد الفلاح.....)
- الأنثروبولوجيا الاجتماعية (دراسة الهياكل الأسرية، والسلوك وتنظيم علاقات القرابة).
- الأنثروبولوجيا الثقافية (المعتقدات، وأشكال التدين الشعبي والثقافات الشعبية والسياسية...)

هذه التوجهات التاريخية الجديدة تزامنت والانبهار بالوقت الثابت (الأمد الطويل)" le temps immobile"، حيث شجعت مدرسة الحوليات التوجه نحو التاريخ الجديد ابتداء من سنة 1969م، وذلك من خلال استقراء عناوين العديد الأعمال ، الأسرة والمجتمع (رقم 1972/4) من أجل التاريخ الأنثروبولوجي (رقم 6 /1974) تاريخ الاستهلاك (رقم 2-3/ 1975) وغيرها من المقالات التي تنطوي ضمن تخصص الأنثروبولوجيا التاريخية[4]،و في عام 1978 ، أسس جاك لوغوف "مجموعة الأنثروبولوجيا التاريخية للغرب في القرون الوسطى" والتي سهر على تسيرها إلى حدود 1992م حيث سلمها إلى جان كلود سميث[5].

فمن خلال الأعمال التي تم إنتاجها في ظل الأنثروبولوجيا التاريخية يظهر وبجلاء التناغم بين العلمين، الأمر الذي يرجع أساسا إلى الانهج الذي تعتمده كل من الأنثروبولوجيا والتاريخ، من حيث جمع المادة المصدرية من أجل الإحاطة بماضي المناطق المراد دراستها، إضافة إلى وصف الأحداث

[1] - Ibid, pp. 4- 5.

[2] - Marin Richard.« La nouvelle histoire et Lévi Strauss», p. 6

[3] - Ibid, pp. 6-7

[4] - Marin Richard.« La nouvelle histoire et Lévi Strauss», p. 7 .

[5] - Ibid, p. 7.

والتعرف على الأسباب والعوامل التاريخية التي كانت سببا في بروز الظواهر الاجتماعية.

وبذلك فإن التقارب بين العلمين توضحه بجلاء الصلات القائمة التي حددها ستراوس، والذي يرى فيها أن الاختلاف بين الأنثروبولوجيا والتاريخ لا يمس بصلة الموضوع أو الأهداف أو المنهج ، لأن العلمين ينسجمان على مستوى الموضوع حيث يتناولان موضوعا موحدا "الحياة الاجتماعية"، كما أن هدفهما واحد هو فهم الإنسان والوقوف عند خباياه، وحتى على مستوى المنهج فليس هناك اختلاف إلا في طرق البحث[1].

صحيح أن عمل المؤرخ يسلط الضوء على العديد من الظواهر المجتمعية بناء على مادة مصدرية توضح الظاهرة وترسم سياقاتها، لكن مسألة التحليل والتفسير تقتضي من المؤرخ الانفتاح على الأنثروبولوجيا قصد الاستفادة من الصياغات اللاواعية، لأن مواضيع المؤرخ اليوم تجاوزت التاريخ السياسي الانفعالي الذي يكتفي بالتتبع الزمني للأحداث[2]، وبذلك فإنه من الصعب الفصل بين العلمين في دراسة المجتمعات، وهو ما عبر عنه ماركس بعبارته الشهيرة « أن البشر يصنعون تاريخهم بأنفسهم، لا كنهم لا يدرون أنهم يصنعونه» يؤكد ستراوس أن الشق الأول من القولة إنما هو تسويغ للتاريخ، أما الشق الثاني فيقصد به الأنثروبولوجيا كما أنها توضح استحالة استغناء أحدهما عن الآخر، في عملية بحثهما عن معرفة الإنسان[3].

وهكذا فإن قراءة المجتمعات الإنسانية على ضوء المنهج التاريخي أي استقراء المصادر والوثائق والأرشيفات، لا تمكن من فك الرموز والمعاني، واستجلاء الدلالات إلا بالاعتماد على القراءة الأنثروبولوجية التي تفكك المضمر والمستتر من عناصرها، وهو ما سوف نراه من خلال النموذج التطبيقي "لمرايا الأمراء".

3- الأنثروبولوجيا التاريخية من خلال دراسة جوسلين دخلية "لمرايا الأمراء"

إن المقاربة الانفتاحية التي قامت بها جوسلين دخلية على الجنس الأدبي "مرايا الأمراء" أو الرسائل الموجّهة لنصح الأمراء، إنما هي مقاربة حاولت من خلالها لفت انتباه المؤرخ إلى نصوص لم تكتب للتاريخ أصلا مع الاعتبار لانتمائها إلى جنس أدبي ثانوي، و تحويل وجهته نحو إعادة بناء النص التاريخ يوفق مناهج و علوم أخرى. للنفاذ إلى عمق الموضوع عمدنا إلى مقال جوسلين "مرايا الأمراء في الإسلام: حداثة صمّاء" وحاولنا الكشف عن:

- ماهية مرايا الأمراء؟
- الإضافات التي يمكن أن تقدمه الأنثروبولوجيا للتاريخ.

---

[1]- كلود ليفي ستراوس، **الاناسة البنيانية**، ترجمة حسن قبيسي، منشورات مركز الثقافة العربي،الطبعو الأولى، بيروت 1995م، ص. 31.

[2]- كلود ليفي ستراوس، **الاناسة البنيانية**، م. س.، ص. 37.

[3]- كلود ليفي ستراوس، **الاناسة البنيانية**، م. س.، صص.37-38.

- التصور الذي استطاعت جوسلين دخلية صياغته للسلطة الإسلامية وفق التحليل الأنثروبولوجي كتب المرايا.

أ- ماهية مرايا الامراء

تنتمي مرايا الأمراء أو مرايا الملوك" إلى الجنس الأدبي الذي يضم "أدب فنون الحُكم " الذي عني بضم الرسائل الموجّهة لنصح الأمراء. يعود تاريخ ظهورها في التاريخ الإسلامي إلى القرن الثامن هـ، واستمر إنتاجه إلى غاية بداية القرن العشرين على الرغم من التذبذبات التي شهدتها ديناميكية ذلك الإنتاج. تمحورت مواضيعها حول آداب الملوك في صياغة هي عبارة عن نصائح أخلاقية وسياسية. بهدف حُسن تدبير الحكم و الإمارة.

فهي بمثابة دليل عمل لا يتوخى تحليل طبيعة النظام السياسي وآلياته بقدر ما يسعى إلى توضيح عدد من القواعد السلوكية التي تُلزم الملك أو الأمير و السير على نهجها[1]،فهي تشكل مستودعا حقيقيا للثقافة السياسية الإسلامية.

ب - الإضافات التي يمكن أن تقدمه الأنثروبولوجيا للتاريخ

- تجاوز وضعية المصادر وإشكالية توظيفها (نموذج اشتغالها على مرايا الأمراء).
- إغناء قراءة الوثائق.
- إتاحتها للكتابة التاريخية مجالات التركيب وآفاق على المستوى المنهجي.
- تساعد الباحث في بلورة موقف إزاء قضايا البحث، يقول ميشيل دي سرطو:"إن العملية التاريخية -أي عمل المؤرخ- أصبحت بمثابة نقد وتمحيص لمناهج العلوم الأخرى الطبيعية والبشرية" [2]
- تتبع و تطور تشكل الظواهر التاريخية و البحث في البنيات المتحولة.
- تطوير مجال المصادر و الانفتاح على أجناس مصدرية لم تكتب للتاريخ قصدا(مرايا الأمراء) على سبيل المثال، التي تنتمي إلى المصادر الأدبية أو الآداب السلطانية.
- إخراج التاريخ من انغلاقه التخصصي وانفتاحه على تساؤلات ومناهج العلوم الاجتماعية الأخرى[3]

ج - التصور الذي قدمته دخلية في تحليلها الأنثروبولوجي للسلطة الإسلامية من خلال كتب المرايا.

---

[1]-Jocelyne Dakhlia, « Les Miroirs des princes islamiques: une modernité sourde », In: **Annales. Histoire, Sciences Sociales**, 57eannée, N° 5, 2002, p.1192.

[2]- العروي،عبد الله، **مفهوم التاريخ**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى بيروت،1992، ج.1، ص.194.

[3]- حبيدة، محمد،**مدرسة الحوليات،مفاهيم التحليل البروديلي**. مجلة أمل عدد3،السنة الأولى،مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، 1993، صص. 77-81.

- مكّن توظيف جوسلين دخلية للمنهج الأنثروبولوجي على نصوص مرايا الأمراء من:
- تفكيك التركيب الخطابي لنصوص كتب المرايا، وتحديد التمفصلات العميقة لنسق السلطة الاسلامية الثقافي. و أعادت التفكير و البحث في علاقة السياسي بالديني.
- أعادت الاعتبار لمؤلفات فنون الحُكم، فعلى الرغم من الاهتمام الذي عرفته تلك المصادر من لدن بعض مؤرّخيا لعصر الوسيط، و الرواج الذي عرفته المرحلة الأولى من القرن 19م و العقود الأولى للقرن العشرين على مستوى حيويّة النشر، إلا أن ذلك- حسب جوسلين- لم يثر إلا اهتماماً ضعيفاً في الأوساط البحثية من لدن المؤرخين خصوصا في قلب المرحلة الأولى من فترة القومية العربية التي اكتفى باحثوها بالبحث عن علامات المثاقفة مع الغرب، و افتقدوا للقراءة الحقيقية[1]

[1]-Jocelyne Dakhlia, «Les Miroirs des princes islamiques : une modernité sourde», In: **Annales Histoire**, Sciences Sociales. 57ème année, N° 5, 2002, p.1194.

- أماطت اللثام عن أحد زوايا أدب مرايا الأمراء الذي وسمته بالمجال الذي يتحرّك فيه السياسيّ الإسلامي المستقلّ عن الوحي، و بداية تشكّل السياسة في انفصال عن الدين.الذي وصفت ذلك الحيّز بأدب نصائح الملوك[2].
- أعادت بناء الدوائر المحدودة للسلطة السياسية الاسلامية من خلال النصوص، تقول في هذا الصدد:" إن الاهتمام على سبيل المثال،بكتاب(سرّ الأسرار) الذي يعتبر نموذج من كتب المرايا، بمثابة إعادة بناء سلاسل الرواية والقرابة المتعلقة بدوائر محدودة وهي دوائر النخبة الثقافية والاجتماعية، حتى لو تعلَّق الأمر بنصوص،أو بمجاميع من النصوص الأكثر انتشاراً و وجوداً[3]
- جاءت دراسته النصوص "مرايا الأمراء" أو" الأدب السلطاني" لإعادة بناء اللحظة التأسيسية للاستقلال المتدرج للسياسي عن الديني بالنسبة للعرب المسلمين.
- بحثت في الثابت والمتحول للكشف عن صيرورة السلطة الدينية في

[2]-Ibid, p.1192.

[3]-Ibid, p.1197.

النسق السياسي العربي، و عملت على كشف العوامل المتحكمة في إنتاجها وإعادة إنتاجها و ذلك من خلال استحضار المنهج الأنثروبولوجي والبنيوي. مع تحليل السياق الثقافي الذي تفكر من داخله الشخصية العربية و المسلمة في مقارنة بنظيرتها الغربية ونبذ الرؤية الأوروبية الثابتة التي تدعي السبق في لحظة الانفصال الديني عن السياسي الموسومة "باللحظة الميكيافيلية".

- بحثت في طبيعة العلاقة بين الدين والسياسة و الأسباب التاريخية لتجاوز القطيعة الموضوعية بينهما، وعدم الانسياق وراء النصوص التي كرست فكرة بروز العدل واقترانه بالحكم الإسلامي تقول جوسلين:" إذا كان الأمر كذلك فكيف نفسّر دينامية و حيوية ذلك الضرب من التآليف و استمراريته"[1] كما مكنتها الدراسة التحليلية و التفكيكية لنماذج الحكم السابقة عن العهد الاسلامي، من دحض الأقوال التي اعتبرت العدل بذرة تشكّلت جذورها في مجال الحكم الديني الإسلامي و إنما حضوره أي " العدل" موجود و قائماً بذاته قبل العهد الاسلامي[2]".
- إن مهمّة المؤرخ - حسب جوسلين- اكتشاف كلّ مقاربة تاريخية ترد علناً، أو بشكل مُضمَر و البحث عن نقطة بدء الحدث الذي تفرقت عنه باقي نتائج الاحداث[3].

إذا كان تحرير العلوم الاجتماعية من الهيمنة الاستعمارية، أقام تصرحا لفكر ابن خلدون، بحسب جوسلين دخلية فإن توظيفها هي الأخرى للعلوم الاجتماعية في قراءة مرايا الأمراء، تكون قد أنطقت نصوصا اعتبرت لفترة من الزمن نصوصا صماء. واقترحت من خلالها حداثة محتملة لتلك الأدبيات من أجل تفسير واقع اللامبالاة و الرفض الذي يضربها اليوم، باعتبارها جنسا أدبيا على غرار مجمل الآداب السلطانية و تقول هذا الصدد "إنّ إعادة الاعتبار لهذا الجنس مطلوبة يتطلّب استقصاء أكثر شموليّة... و حداثة هذه المؤلّفات ليستوهماً"[4].

خاتمة:

إن مقاربة موضوع الأنثروبولوجيا التاريخية هي مقاربة لقضية يلفها التعقيد والتركيب باعتبارها بحث في كنه الوجود الإنساني

---

[1]- Jocelyne Dakhlia, « Les Miroirs des princes islamiques : une modernité sourde », In: **Annales. Histoire**, Sciences Sociales, 57ème année, N° 5, 2002, p.1193.

[2]- Ibid , p.1199.

[3]-Ibid , p.1205.

[4]-Ibid , p.1205.

في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي تعبير عن تقارب على مستوى الأبحاث أغنى الدراسات وفتح أمامها الطريق لولوج قضايا لم تكن ضمن اهتمامات المؤرخ.

صحيح أن العلمين يلوف مسألة التقائهما الغموض والمفارقات عند بعض الدارسين لكن الممارسة أثبتت تكامل المعرفتين، لأن كلاهما يحتاج إلى الآخر، فقد اعتمد المؤرخ قضايا تقتضي دراستها الاعتماد على الوقت الثابت أو الأمد الطويل، من أجل تجاوز عدم مراعاة الأنثروبولوجيا لمسألة الزمن التاريخي.

إذا كان التاريخ يحتاج للأنثروبولوجيا في التفسير والتحليل، فإن الأنثروبولوجيا لا يمكنها دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية والتفصيل في السلوكيات والتعبيرات بمعزل عن رصد وتتبع مختلف التطورات التي تعرفها هذه الظواهر في سيرورتها التاريخية.

لائحة البيبليوغرافيا

- ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، منشورات فضاء الفن والثقافة، المغرب.
- الشماس عيسى، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 2004.
- العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، الطبعة الأولى،1992،المركز الثقافي العربي،بيروت،ج1.
- بيرني ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة كاظم سعد الدين، منشورات بيت الحكمة، الطبعة الأولى، بغداد 2010م.
- فهيم حسين، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الانسان، منشورات عالم المعرفة، فبراير 1986م
- كلود ليفي ستراوس، الاناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي، منشورات مركز الثقافة العربي، الطبعة الأولى، بيروت 1995م.
- مؤنس حسين، التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ ماهيته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ، منشورات دار الرشاد، الطبعة الثانية، القاهرة 2001م.
- لوغوف جاك، التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2007.
- حبيدة محمد، "مدرسة الحوليات، مفاهيم التحليل البروديلي". *مجلة أمل*، عدد3، السنة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء1993.

Les articles :

- Jean-Claude Schmitt, « Anthropologie historique », *Bulletin du centre d'études médiévales d'Auxerre | BUCEMA* [En ligne], Hors-série n° 2 | 2008.
- Jocelyne Dakhlia, Les Miroirs des princes islamiques : une modernité sourde, In: *Annales. Histoire, Sciences Sociales*. 57^{e}année, N. 5, 2002.
- Marin Richard. «La nouvelle histoire et Lévi Strauss». *Caravelle. Cahiers du monde hispanique et luso-brésilien*, Presses Universitaires du Mirail, 2011.